فلسطين

والمظهر الجغرافى لمشكلتها

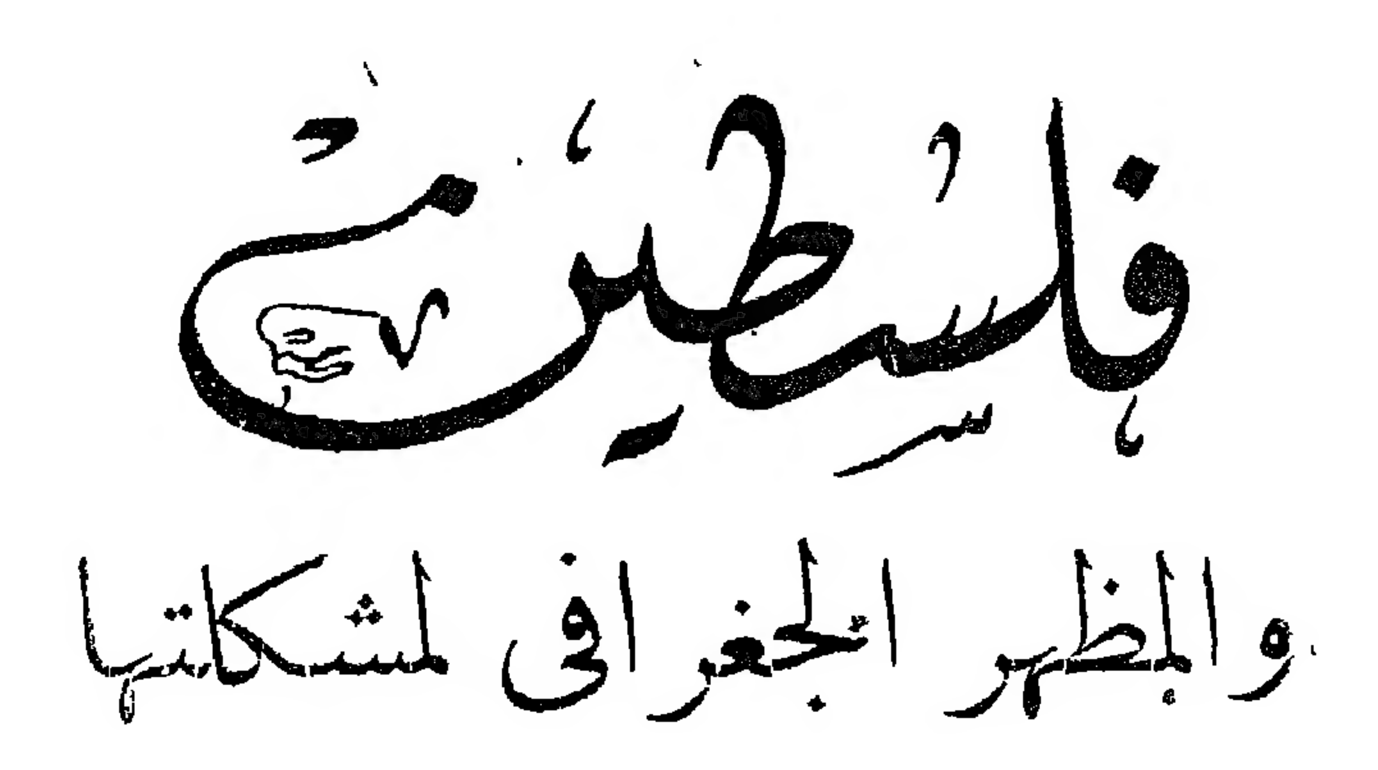
تأليف

يوسف مجلى

الحائز على درجة الشرف فى الجغرافية
والمفتش العام بوزارة المعارف

وأستاذ الجغرافية المنتدب بكليتى
معهد الملكة عالية ودار المعلمين العالية
ببغداد

الناشر مكتبة الانجلو المصرية



تأليف

يوسف مجلي

الحائز على درجة الشرف فى الجغرافية
والمفتش العام بوزارة المعارف

وأستاذ الجغرافية المنتدب بكليتى
معهد الملكة عالية ودار المعلمين العالية
ببغداد

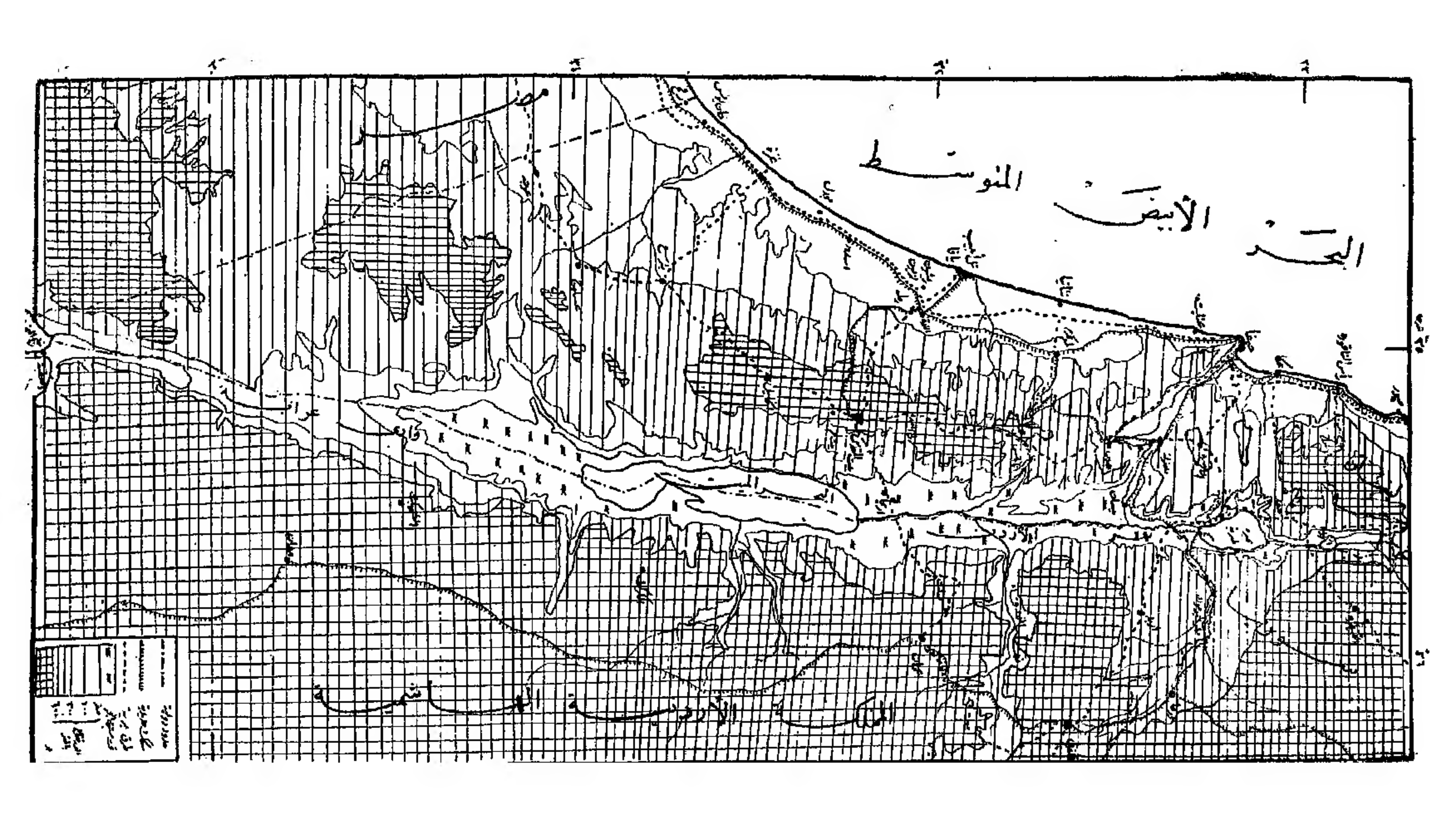
الناشر مكتبة الانجلو المصرية

محتويات الكتاب

صفحة

صفحة

الخرائط والاشكال


البحر الأبيض المتوسط

ومن المؤسف أيضاً أن الكثيرين منا لا يعرف الا القليل عن جغرافية فلسطين وأن الابحاث التي كتبت بلغتنا عن هذه البلاد وغيرها من الأقطار العربية لا تخرج عما أحتوته الكتب المدرسية ، وهذه بدورها لا تتجاوز أسطرا معدودة ينقلها المؤلف عن أحد الكتب الاجنبية الموضوعة للمدارس الانجليزية أو الامريكية أو الفرنسية . فالطالب المصرى والكاتب المصرى لا يعرف عن فلسطين أو سوريا أو لبنان أو العراق أو الجزيرة العربيه أكثر مما يعرفه الطالب الانكليزى أو الامريكى عن هذه البلاد. وما يقال عن الطبقة المثقفة فى مصر هو بعينه ما يقال عن نظيرتها فى العراق أو سوريا أو غيرها من الدول العربية الاخرى من حيث معرفتها بالديار المصرية.

لقد أهابت الجامعة العربية أو بعبارة أصح لجنتها الثقافية بالكتاب والمؤلفين أن يؤلفوا فى جغرافية البلاد العربية وعرضت مكافأة مالية تمنح للفائز فى هذا المضمار ، ولكنها تركتهم يتخبطون فى ظلمات هذا الميدان يتلمسون مراجعهم أنى وجدوها وينقبون عن الحقائق اينما عثروا عليها ، جاهلة أو متجاهلة الصعوبات التى يواجهها كل باحث فى هذه الغياهب ، وكان الأجدر بها أن تهيئ ، بمالها من أتصال ونفوذ ، المادة الأوليه التى يمكن أن يتخذ منها المؤلف أو الكاتب تلك الاحجار الصغيرة التى يستطيع أن يجمعها بعضها الى بعض ويصوغ منها بناء كتابه .

أقول هذا لا على سبيل الناقد فقط وانما على سبيل المعتذر أيضا الى جمهرة القراء والزملاء ممن سيتداولون هذه الرسالة ، فما أنا الا رائد فى أرض مجهولة أتلمس فيها طريقا ، فان ضللت هذا الطريق فما على من يسلكه بعدى الا أن يصحح أخطائى وإن اهتديت فما عليهم الا أن يمهدوه

ويمهدوه ويغرثوا الأشجار على جانبيه لتزداد معالمه وضوحا وجلاء .

أن دراسة جغرافية فلسطين تلقي ضوءاً على مشكلتها فينير السبيل أمام كل من يتصدون لحلها فيصلون اليها من بابها الطبيعي واذ ذاك يستبين لهم أن تقسيمها أمر لا يمكن أن يستقيم مع طبيعتها وان إقامة دولة يهودية في وسط هذا البحر الزاخر من العرب مناقض لكل النواميس الطبيعية والاقتصادية اذ انى لدولة أجنبية أن تعيش داخل هذه البلاد التي تعتمد في موارد مياهها وحياة زراعتها على جارتيها العربيتين : شرق الاردن ولبنان. وسوف يرى القارىء عند البحث في اقتصاديات فلسطين وامكانياتها أن الدعوة المسمومة التي تروج لها الوكالة اليهودية والمشايعون لها من أن في هذه البلاد متسعا لاضعاف سكانها إنما هي دعوة لا ترتكز على أي أساس علمي وان الدراسات والابحاث التي عملت تنفيها بل وتكذبها تكذيبا قاطعا، وأن هذه البقعة الصغيرة من البلاد العربية قد وصلت إلى أقصى درجة من الاستيعاب البشري، وأن كل زيادة ، غير الزيادة الطبيعية في نفوسها ، بجحف بسكانها الحاليين لان فيه خفضا لمستوى معيشتهم وموارد رزقهم .

هذه وغيرها من الحجج التي ينادي بها اليهود وأنصارهم والمدافعون عنهم تنهار أمام الدراسة الهادئة لجغرافية هذه البلاد كما سيرى القارىء في الفصول التالية .

هذا وقد قسمت هذا الكتاب إلى أبواب ثلاثة : تناولت في أولها موقع فلسطين وطبيعة أرضها ومعالمها الجغرافية وحالة المناخ فيها مؤكدا على مواردها المائية لاهميتها في قطر الزراعة حرفة غالبية سكانه . وخصصت ثاني هذه الابواب لدراسة مواردها الاقتصادية : الزراعية منها والصناعية والتجارية مع العناية الخاصة بامكانيات البلاد ومجال التوسع الاقتصادي فيها . أما

الباب الثالث فقد تناولت فيه السكان وما طرأ عليهم من زيادة فى الربع قرن الاخير وأثر الهجرة اليهودية فى التكوين البشرى لهذه البقعة الصغيرة.

وقد توخيت فى كل ما كتبت إيراد الحقائق العلمية المجردة عن كل دعاية سياسية أو عنصرية وتركت للقارىء فى كثير من الحالات إصدار الحكم الذى يتفق ومنطق هذه الحقائق كما أشرت فى مواضع أخرى لآراء بعض الخبراء العالميين الذين تجردوا عن كل هوى أو عاطفة.

وانى إذ أقدم هذا الكتاب إلى القارىء العربى أرجو أن أكون قد أضفت جديدا إلى المكتبة الجغرافية العربية والله ولى التوفيق.

سيدى بشر فى سبتمبر سنة ١٩٤٨

الباب الاول

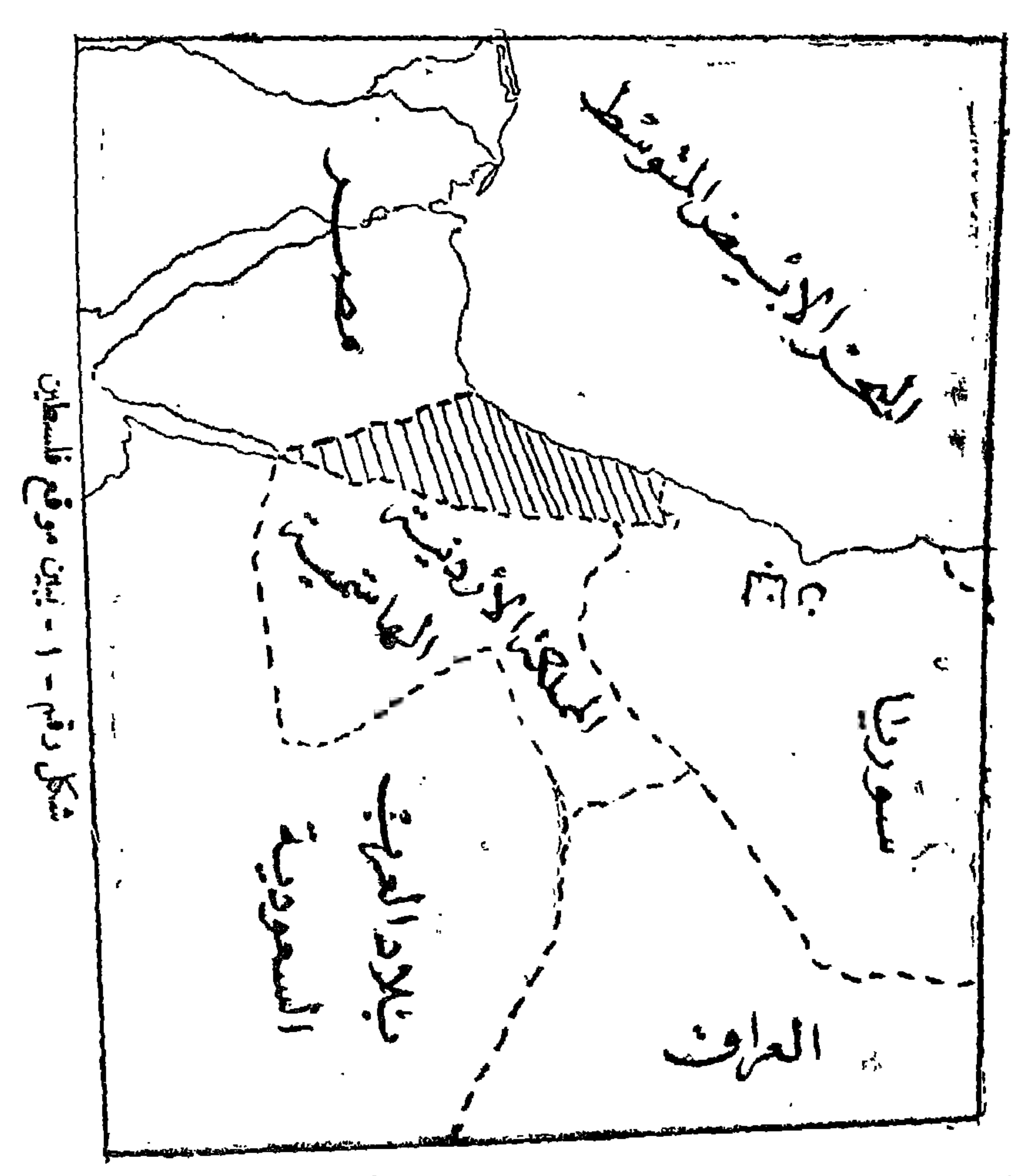
الفصل الأول

فلسطين . موقعها الجغرافى واوصافها الارضية

فلسطين أصغر البلاد العربية كلها ، فمساحتها سبعة وعشرون الفا من الكيلو مترات المربعة فهى أقل من نصف مساحة دلتا النيل وأقل من ثلث مساحة الجمهورية اللبنانية ، وتتسع العراق لسبعة عشر دولة مثل دولة فلسطين . وعلى الرغم من صغر مساحتها هذه فقد كانت منذ أقدم العصور التاريخية حتى الان ذات مركز لا يدانى من الناحيتين السياسية والروحية

تقع فلسطين فى النهاية الجنوبية الغربية للهلال الخصيب عند التقاء قارات آسيا وأوربا وأفريقية بعضها ببعض شكل رقم (١) ولهذا صارت منذ بدء التاريخ مركزا هاما للاتصال بين الغرب والشرق . وكان لهذا الاتصال مظهران:

أولها تجارى أو سلمى، وقد جنت منه البلاد فوائد كبرى وذلك عن طريق الوساطة والصرافة واقامة النزل التي يأوى اليها التجار والمخازن التى يودعون فيها اموالهم وتجارتهم حتى يتم لهم توزيعها وقد صارت هذه وتلك فيما بعد أسواقا عامرة ومدنا تجارية كبرى ومراكز للمواصلات تتلاقى عندها سفينة البحر بسفينة الصحراء . وعلى الرغم من تغير القيم الاقتصادية لبعض السلع فلا تزال فلسطين محتفظة بأهميتها التجارية فانابيب البترول التى تحمل «الماس الاسود» من بلاد الرافدين وتسير به عبر بادية الشام لتصبه فى ميناء حيفا لها من الاهمية فى العالم الحديث ما كان لطرق القوافل التى



شكل رقم - ١ - يبين موقع فلسطين

كانت تحمل حرير الصين والهند ومجوهراتها فى العصور الوسطى وما قبلها . وكما كانت بطرة كبرى موانىء الصحراء قديما اصبحت حيفا الآن من امهات موانىء البحر الابيض

وثانى المظهرين هو المظهر الحربى اذ كانت فلسطين وجارتاها الشماليتان — سوريا ولبنان — ميدانا تتلاقى عنده جيوش الشرق والغرب . ففيها نازلت جيوش تحتمس ورمسيس جحافل الحيثين ومن ناصرهم ، وعلى

ارضها هزم الاسكندر جيوش الفرس فزالت امامه كل عقبة الى وادى النيل وارض الرافدين واليها نزح الرومان واقاموا فيها معسكراتهم وحصنوها وظلت فى ايديهم وايدى الروم الشرقيين الذين خلفوهم حتى انتزعتها منهم جيوش العرب، وفى هذه البلاد تلاقت فيما بعد جيوش صلاح الدين وجحافل الصليبيين وتمكن بطل المسلمين من تخليص العالم العربى من الزحف الاوربى ، ووصل اليها فيما بعد المغول وكادوا يكتسحون مصر وما بعدها لولا أن صدهم عنها بيبرس وارجعهم من حيث أتوا . وفى أوائل القرن السادس عشر الميلادى كسب على أرضها سليم الأول المعركة التى فتحت امامه الطريق الى كل من مصر والعراق. وقد ظلت البلاد العربية تدين لحكم الاتراك العثمانين أربعة قرون حتى كسب اللنبي بدوره معركة القدس فدالت دولتهم عن هذه البلاد بنفس السرعة التى تأسست بها بل واسرع . ومع أن فلسطين قد تخلصت الان من الحكم أو الانتداب الانجليزى فان هـذا الانتداب على قصر عهده — ١٩١٧ - ١٩٤٨ — قد خلف لها مشكلة الوطن القومى لليهود تلك المشكلة التى أوجدت الانقسام بين اكثرية سكان البلاد وهم العرب والأقلية اليهودية، والتى جرت فى ذيلها مشاكل سياسية واقتصادية تعطلت معها المرافق وجعلت من هذه الارض المقدسة مسرحا للحرب والقتال

ففلسطين الصغيرة كانت بسبب موقعها الجغرافى منذ آلاف السنين ، كما هى الآن ، مركزاً للتطاحن والتنازع بين أصحاب المطامع السياسية والاقتصادية ، كل يسعى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة الاستيلاء على هذا الموقع الجغرافى الممتاز وعلى ذلك المنفذ الذى ينساب منه الآن بترول البلاد العربية ، وهى إحدى مراكز النفط الاربعة الهامة ان لم تكن اغناها كلها ، فالجمهوريات السوفيتية تناصر اليهود لتتخذ منهم طريقا للوصول إلى مياه البحر

الابيض الدافئة ورئيس الجمهورية الامريكية بمالئهم ليكونوا له عونا وسندا في انتخابات الرئاسة ولتتخذ الولايات المتحدة من دولتهم المزعومة نقطة ترتكز عليها في البحر الابيض وتشرف منها على مصالحها الاقتصادية وخاصة النفط في البلاد العربية ، اذا انقلب الحليف عدوا ، وبريطانيا حيرى بين العرب واليهود لا تدرى أيهما تناصر أو تعاون وان كانت خطتها المرسومة هي مناهضة الاطماع الروسية ان حاولت هذه الوصول إلى مياه البحر الابيض بأى شكل من الاشكال .

حدود فلسطين : تشغل فلسطين المنطقة الممتدة من صحراء التيه جنوبا حتى سفوح جبال لبنان شمالا ومن ساحل البحر الابيض غربا [١] حتى خط الحدود بينها وبين المملكة الاردنية الهاشمية شرقا . ويتبع خط الحدود هنا منطقة الغور مسايرا نهر الاردن ومتوسطا البحر الميت ووادى عرابة حتى نقطة إلى الغرب قليلا من مدينة العقبه . ويبلغ طول البلاد من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ٢٦٠ كيلو مترا ومن غربها إلى شرقها ١١٥ كيلو متر ، فمساحتها سبعة وعشرون ألف كيلو متر مربع أو سبعة وعشرون مليون دونم [٢] .

خصائص فلسطين وبيئتها : تمتاز فلسطين ببساطة بنيتها ووضوح أوصافها الارضية وضوحا تاما فأرضها كلها تقريبا مكونة من طبقات من

(١) القسم من ساحل البحر الابيض التابع لفلسطين يمتد من رأس الناقورة شمالا وهى نقطة الحدود بينها وبين الجمهورية اللبنانية حتى رفح جنوبا وهى نقطة الحدود المصرية الفلسطينية .

(٢) الدونم هو وحدة المساحة في فلسطين ويساوى ١٠٠٠ متر مربع ، أما الدونم العراقى ويسمى أيضا المشارة فمساحته ٢٥٠٠ متر مربع . فالدونم الفلسطيني يعادل تقريبا ربع الفدان المصرى .

الصخور الكريتاسية والحجر الجيرى الايوسينى[1] . ومعنى هذا أنها ، فيما عدا بعض الطفوح البركانية التى نشاهدها فى هضبة الجليل والتى تظهر الى الشرق من نهر الاردن ، مكونة من صخور جيرية بيضاء تتخللها مسطحات قليلة ذات تربة صلصالية ، ويمتد على طول سواحلها بعض الكثبان الرملية . وقد كان لهذا التكوين الجيولوجى عدة نتائج منها .

١ — ان البلاد أصبح مقضيا عليها بالجفاف لسرعة تسرب المياه السطحية فى الطبقات الجيرية فهى فقيرة فى مياهها وفقيرة فى أراضيها القابلة للزراعة

٢ — على الرغم من قلة المياه السطحية فان المياه الباطنية كثيرة ، وهى دائبة على اذابة وتعرية الطبقات الجيرية الباطنية ، ويعتمد القسم الأكبر من زراعة فلسطين الحديثة على الآبار التى حفرت بكثرة وخاصة فى منطقة السهل الساحلى حيث توجد أكبر مساحة لبساتين الثمار الحمضية .

٣ — تكثر فى فلسطين من جراء تسرب المياه الى الطبقات السفلية وسهولة إذابة الصخور الجيرية الوديان العميقة ذات المدرجات المرتفعة وقد بنيت على حافاتها المدن لتشرف على مداخل هذه الوديان وتقوم على حراستها ، كما كثرت فى جوانب هذه الوديان الكهوف والمغارات التى طالما اتخذ منها سكان البلاد ملاجىء يهرعون اليها فى عصر الاضطرابات

---

(١) الصخر الكريتاسى من تكوينات الزمن الجيولوجى الثانى بل هو أحدثها كلها كما ان الإيوسين هو أقدم العصور التى ينقسم اليها الزمن الثالث فالاثنان وان كانا ينتميان الى زمنين جيولوجين مختلفين متعاقبان فى الترتيب الجيولوجى .

الدينية والسياسية وفى زمن الغارات والحروب [١].

٤ – أصبحت الهضبة الفلسطينية من نوع الهضاب المقطعة ولهذا أثره فى صعوبة المواصلات بين أجزائها.

تأثرت هذه الهضبة فى نهاية الزمن الجيولوجى الثالث وأوائل الزمن الرابع ببعض التموجات الارضية التى أصابت كلا من آسيا وأوربا أثناء تكوين السلاسل الالتوائية الحديثة فى تينك القارتين ولكن صلابة صخور القاعدة التى ترتكز عليها هذه الهضبة وقفت فى وجه هذه التموجات فتحولت القوة الدافعة الجانبية الى حركة رأسية عنيفة نشأ عنها أنثناءان غير كاملين ينتهيان بتكسرات سلمية ذات عمق كبير تحصر فيما بينها الوهد العميق الذى يعرف باسم الغور وهو بمثابة المقعر بين هذين الانحنائين المحدبين. وليس من شك أن الحركة أو الحركات الارضية التى احدثت هذه الظاهرات كانت على شىء كبير من الشدة والعنف، فالهضبة الغربية أو بعبارة أخرى المحدب الغربى ترتفع الى علو ١٠٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر الابيض المتوسط ثم تعود الى الهبوط الفجائى الرأسى حتى تصل فى قاع الغور الى حوالى ٣٩٠ مترا تحت هذا المستوى، مكونة واديا أخدوديا يبلغ أتساعه عشرين كيلو مترا ثم يعود الى الارتفاع الرأسى حتى يتجاوز ١٢٠٠ متر فوق سطح البحر الابيض ويعدها تنبسط الارض مكونة المحدب الشرقى أو هضبة شرق الاردن وهذه تتدرج فى هوادة نحو الشرق والشمال الشرقى الى وادى الرافدين (شكل ٢)

(١) وفى هذا يقول يوزباشى السيد فرج فى كتابه. جيشنا فى فلسطين ، ويجمل القول فى طبيعة أرض فلسطين انها فى صالح المدافعين إذ حبتها الطبيعة بعوائق وموانع تسهل مهمة الاختفاء فهى على حد قول آدم سمث . أرض المخابىء والعراقيل والمفاجآت ، لا تجد الجيوش الكبيرة فرصه لعملياتها ، وهى تيسر للمدافعين سبل الاختفاء ، ص ٣٢

ففلسطين والحالة هذه مكونة من هضبتين مرتفعتين سطحهما مستو تقريبا يفصل بينهما منخفض عظيم هو اوطأ ما على سطح الكرة الارضية كلها ، يرتفع جانباه ارتفاعا رأسيا فى كثير من جهاته وكما تتدرج الهضبة الغربية الى السهل الساحلى الذى يفصل بينها وبين ساحل البحر الابيض كذلك تتدرج الهضبة الشرقية الى وادى دجلة والفرات ، وقد كان يدوره جزءا من الخليج الفارسى قبل أن تملأه ترسبات هذين النهرين العظيمين وهى عملية لاتزال قائمة الى الان بجد ونشاط .

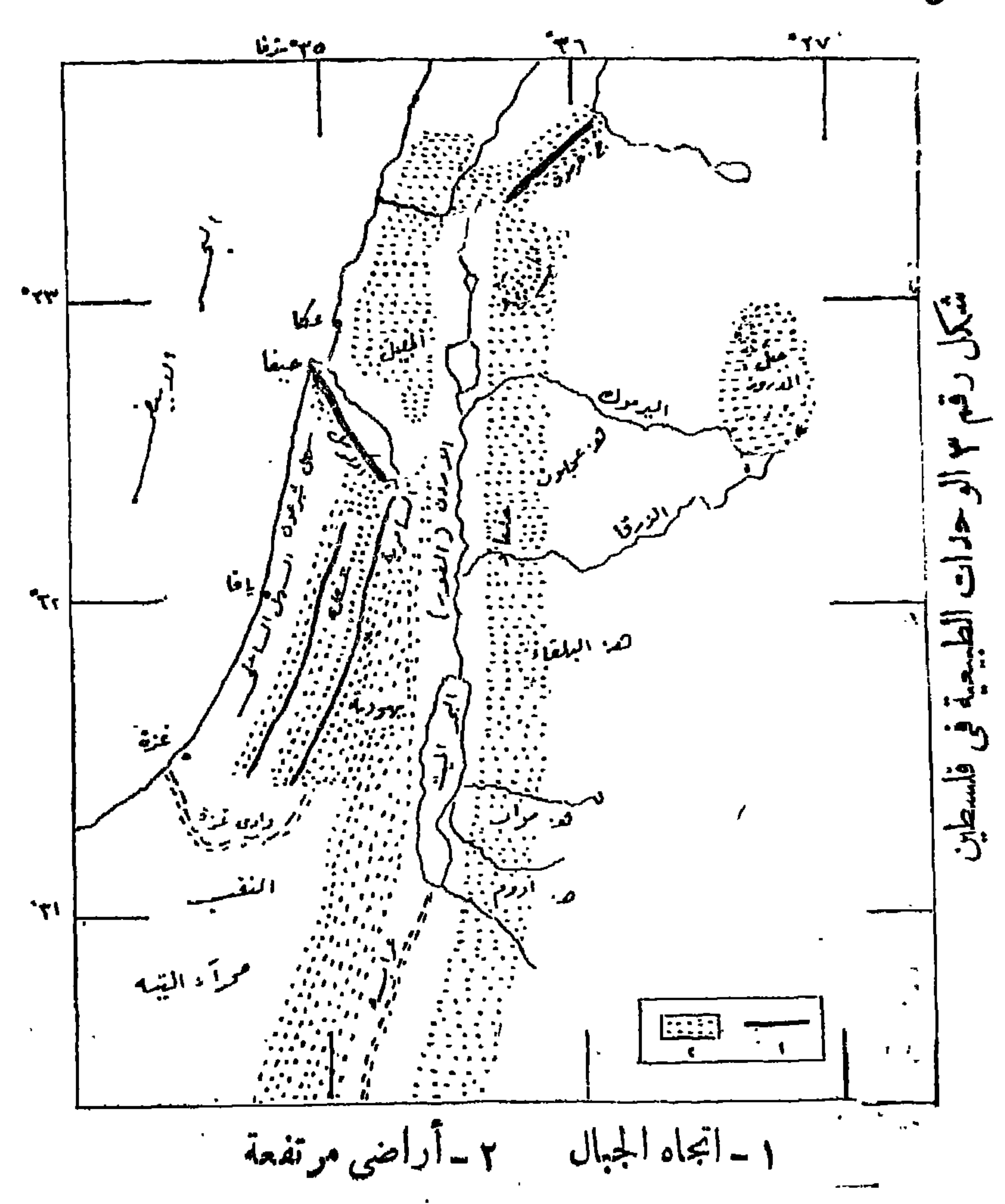
وليس أدل على حداثة عهد الاضطرابات التى سببت هذه الظاهرات من ان المدرجات التى تنتهى بها هاتان الهضبتان الى ذلك الغور لا تزال محتفظة بنظامها السلمى كما ان الأنهار والسيول المنتهية الى الاردن والبحر الميت قد استطاعت بسبب عظم الفرق بين مستوى الهضبة التى تنبع منها ومستوى الغور الذى تنتهى اليه وقصر

شكل رقم ٢ قطاع مستعرض فى فلسطين من الغرب الى الشرق مخترقاً هضبة يهودية

١ صخور متبلورة ٢ صخور اولية ٣ ، ٤ ، ٥ صخور كريتاسية وايوسنية من الحجر الرملى والجيرى ٦ صخور حديثه من البليوسين والبليستوسين ٧ مناطق الانكسارات

المسافة التى تسير فيها - أن تحفر وديانا على درجة كبيرة من العمق لا تقل فى روعتها وجمالها عن اخدود الكلورادو فى أمريكا الشمالية

الخلاصه أنه على الرغم من صغر مساحة فلسطين و بساطة تكوينها فانها مكونة من وحدات أربع تتميز كل واحدة منها عن الاخرى لا فى نظام سطحها وحسب بل أيضا فى مناخها ونباتها كما سنرى . وهذه الوحدات هى شكل ٣



شكل رقم ٣ الوحدات الطبيعية فى فلسطين

١ - اتجاه الجبال ٢ - أراضى مرتفعة

١ — السهل الساحلى ٣ — الغور
٢ — الهضاب الغربية ٤ — الهضاب الشرقية وهى التى تتكون منها المملكة الاردنية الهاشمية .

وسنتناول الآن كل قسم من هذه الاقسام بشىء من الايضاح .

اولا : السهل الساحلى

ويمتد من رأس الناقورة شمالا حتى الحدود المصرية جنوبا وتقسمه جبال الكرمل الممتدة من حيفا صوب الجنوب الشرقى قسمين غير متساويين أحدهما شمالى وهو الذى يمكن أن نسميه سهل عكا والآخر جنوبى وله أسماء عدة ولكنها كلها متصلة بعضها ببعض بحيث يمكن أن نعتبرها سهلا واحدا . والسهل الساحلى مكون فى جملته من المواد المستمدة من هضبة الجليل فى الشمال وهضبة يهودية فى الجنوب ولهذا كان قوام تربته المواد الكلسية التى جرفتها انهار الزمن الجيولوجى الرابع فى الفترة التى تراكمت فيها الثلوج على شمال أوروبا والتى كانت الامطار فيها تسقط بغزارة فى اقليم البحر الابيض وهى التى يطلق عليها فى اوروبا اسم العصر الثلجى وفى شمال افريقية والجزيرة العربية اسم العصر الماطر — وقد اختلطت هذه الترسبات الكلسية بالطمى الذى حملته ولا تزال تحمله التيارات البحرية القادمة من الجنوب (طمى النيل) . ولهذا جاءت تربته الان من النوع الخفيف الصالح لزراعة بساتين البرتقال وغيره من الاثمار الحمضية .

والسهل فى جملته أرضه منخفضة قريبة من مستوى سطح البحر ، ضيق فى الشمال ويزيد أتساعه تدريجيا كلما تقدمنا صوب الجنوب ومن أهم مظاهره تلك الكثبان الرملية الممتدة فيما يلى ساحل البحر مباشرة والتى يصل

أرتفاعها في بعض الحالات أربعين مترا . ويلى هذه من الداخل الارض السهلية الطميية الحديثة التكوين يتخللها هنا وهناك تلال صغيرة من الرمال الناعمة أو المتحجرة . وتكون هذه الاراضى السهلية أحدى المناطق الخصبة القليلة في فلسطين . وقد ساعد أعتدال مناخها ووفرة أمطارها الشتويه على رخائها وتقدمها الاقتصادى منذ القدم . وهى وان أعوزتها الامطار صيفا وخلت من الانهار الدائمة الجريان فأنه من الممكن الحصول على الماء الباطنى الوفير عن طريق حفر الابار في أرضها الرخوة . وأنك لترى في سهل شرعون الآن وهو القسم الممتد من حيفا الى يافا ، الآلات والمكائن وقد نصبت في قسمه الغربي لامتصاص الماء المتجمع في الكثبان الرملية . أما القسم الشرقى فاكثر أعتماده على تجمع المياه من العيون والينابيع المتفجرة من الحافة الغربية لهضبة يهودية .

أجتمعت هذه العوامل الثلاثة — خصب التربة واعتدال المناخ وكفاية المياه — فكونت من سهل شرعون بلادا خصبة وفيرة الانتاج اذا هي قيست بالهضبة الجيرية التي تليه من الداخل . وقد جاء اليهود الآن بعد ثلاثه عشرة قرنا فعمدوا الى انتزاعها من ملاكها الشرعيين بطرقهم المعروفة وغرثوا فيها بساتين البرتقال التي تحيط بها أشجار الكافور وعمدت الدول التي نصبت نفسها لاقامة العدالة فاختصتهم بها في تقسيمهم المجحف الجائر كما دفعت بالعرب ، السكان الشريعين والملاك الحقيقيين للبلاد ، الى الهضبة الجيرية المجدبة قليلة الانتاج أو عديمته .

واذا ما بعدنا عن الساحل في الاتجاه الشرقى حيث يتعذر الاعتماد على موارد دائمة للمياه حلت حقول الحنطة والشعير محل بساتين الفاكهة وهذه يتخللها الكثير من أشجار اللوز والزيتون وهى أكثر تحملا للجفاف .

ويلي هذه من الداخل الكروم التي تستقي بجذورها الطويلة من اعماق بعيدة ونرى هذه نامية على سفوح الهضبة الكلسية وقد تمتد الى الهضبة نفسها .

أما القسم من يافا الى غزه فهو سهل لفلسطينين الاقدمين . ارضه مكشوفة قليلة الاشجار بسبب قلة أمطارها ، ومعظم أعتمادها الآن على الزراعات الشتويه التي تستقي بمياه الامطار المتوسطه أو القليلة التي تصيبها في هذا الفصل . ومن الثابت أن أمطاره كانت في أيام دولة بني أسرائيل القديمة أكثر مماهي الآن ولهذا كانت أرض الفلسطينين تموج بحقول الحنطة وتعج بقطعان الاغنام والحياة فيها رغدة اذا قيست بهضبة يهودية الجرداء وقد كان أولئك الفلسطينيون اكثر ثقافة من اعدائهم اليهود النازلين في الهضبة فكان هؤلاء يتحينون الفرص للانقضاض عليهم . كما كان للسهل على الهضبة ميزة اخرى . ذلك أنه نقطة الاتصال بين مركزي الحضارتين المصرية والبابليه مما زاد اليهود طموحا اليه وطمعا فيه .

تمتد منطقة السهل الساحلي فيما الى الشمال من جبل الكرمل حتى حدود لبنان ويعرف هذا القسم باسم المدينة التاريخية القائمه على حراسته وهي عكا ويسميه اليهود الان عمق زفيلوم Émek zevelum على عادتهم في تغير الاسماء العربية امعانا في القضاء على كل ما هو عربي في هذه البلاد .

ويبلغ طول السهل الساحلي الفلسطيني من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ١٢٠ ميلا أما عرضه فيتراوح ما بين بضعة أمتار عند حيفا الى عشرين ميلا في النهاية الجنوبية ومساحته ١٢٠٠ ميل مربع ومتوسط ارتفاعه حوالي ٢٠٠ متر فوق سطح البحر . وهو على ما فيه من خصب وانتاج وفيرين مياهه ضحلة وشواطئه قليلة التعاريج غير صالحة لاقامة الموانيء أو رسو السفن

لتعرضها للرياح الغربية ولعدم وجود الجزائر التى يمكن أن تحميها من تأثير هذه الرياح ولكن يستثنى من هذا المرفأ الطبيعى الأوحد الناشىء عن امتداد جبل الكرمل الى البحر مكونا خليجا طبيعيا يحميه هذا اللسان الجبلى الممتد من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى من تأثير الرياح الجنوبية الغربية الهابة على الساحل وخاصة فى فصل الشتاء حينما تشتد الرياح وتكثر الأعاصير ، وقد قامت على شاطىء البحر فيما الى الشمال من هذا اللسان ميناء حيفا الحديثة وزاد من أهميتها أخيرا انتهاء أنابيب البترول العراقى اليها .

أما غزة وتقع على بعد ثلاثة كيلو مترات ونصف كيلو متر من ساحل البحر فهى مدينة زراعية أكثر منها بحرية . وقيصرية التى ذاع صيتها فى أيام الرومان كانت ميناء صناعية بحتة . أما عتليت وعكا فأهميتهما تاريخية أكثر منها تجارية لما كان لهما من شأن فى أيام الحروب الصليبية وقد اشتهرتا لوقوع كل منهما فى ظل جرف صخرى صغير ولكن تعوزهما الحماية الطبيعية التى تتمتع بها حيفا ومثلهما فى الأهمية التاريخيه عسقلان . ومن المدن الساحليه الهامه يافا وكانت أكبر موانىء فلسطين حتى طغت عليها حيفا منذ نهاية الحرب العالميه الاولى بسبب ما جهزت به من منشئات حديثة ولانتهاء أنابيب النفط عندها كما أسلفنا

وقد نشطت حركة الاستعمار اليهودى فى هذا السهل بطريقة منتظمه فيما بعد سنه ١٩٢١ فأسس القوم فيه الكثير من مستعمراتهم وغرثوا بساتين البرتقال وأسسوا المزارع التعاونية وأصبحت لهم فيه مدن عامرة أكبرها كلها مدينة تل أبيب وكانت فى سنة ١٩١٠ احدى ضواحى يافا وسكانها خمسمائة نسمة لاغير ، فاذ بها فى سنة ١٩٤٤ وهى أكبر مدن فلسطين قاطبة وسكانها ١٦٧٫٠٠٠ والعاصمة التجارية والصناعية لليهود . ويريدون الآن

ان يتخذوا منها عاصمة لدولتهم المزعومة . وقد نشطت فيها الصناعات الاستهلاكية والثقيلة معتمدة على الاموال الكثيرة والآلات التى تأتيها من الخارج كما سنرى عند الكلام على الصناعة . ومن المدن الحديثة ثانيا

وعلى الرغم من طول الساحل الفلسطينى فان استقامته وضحالة مياهه وخلوه من المرافئ الطبيعية كانت كلها عوامل تحول دون قيام بيئة بحرية فيه على عكس الحال فى القسم الشمالى منه المتاخم لجبال لبنان حيث نزل الفينيقيون واشتغلوا بالملاحة والتجارة البحرية

وفيما بين السهول الساحلى والهضبة الغربية توجد منطقة انتقال لا يزيد ارتفاعها على ٢٠٠ متر تتخللها كثير من الكهوف بسبب تربتها الكلسية وقد اتخذ منها المسيحيون ملاجئ يختفون فيها من ظلم الرومان فى بدء ظهور المسيحية وهى تمتد على شكل سهل مرتفع من السامرية حتى اغزة لمسافة ثلاثين ميلا ويتراوح عرضها مابين خمسة وثمانية اميال . ويحد هذه المنطقة من الشرق حافة انكسارية هى نهاية هضبة يهودية وتعرف باسم شفله Shephalah ماؤها وفير (بسبب العيون المتفجرة عند خط لانكسار) وتربتها صالحة لزراعة الحبوب والزيتون بمقادير وفيرة وقد تنازعها قديما كل من اليهود سكان الهضبة والفلسطينين سكان السهل ويتمثل هذا النزاع فى قصة الصبى داود الذى صار فيما بعد ملكا لليهود والجبار جلياط الفلسطينى وهى التى جاء ذكرها فى التوراة

ثالثا الهضبة الغربية

ترتفع الارض فيما الى الشرق من شفله Shephalah ارتفاعا رأسيا واذا ارتقينا هذا الحائط انبسطت الارض امامنا وتجلت معالم الهضبة

فاذ بها نختلف اختلافا كبيرا فى تربتها ومناخها ونباتها عن السهل الساحلى : فالتربة جيرية ناصعة البياض ليس فيها الامساحات قليلة من التكوينات الصلصالية تجمعت على شكل جيوب فى الجهات المنخفضة ، والاعشاب القليلة النامية على المدرجات المستوية التى انشأها الانسان تبدو يابسة متعطشة الى المياه التى غاصت فى الصخور الكلسية. والارض مقطعة الى هضيبات تفصلها بعضها عن بعض وديان عميقة. ويبلغ اتساع هذه البلاد الفقيرة فى تربتها وماءها ونباتها من ٥٠-٦٠ كيلو مترا وارتفاعها عن سطح البحر من ٥٠٠ - ٦٠٠ متر ، وقد يصل الالف فى بعض الجهات . وهى فى جملتها متموجة تبدو على شكل تلال وما كان لغير سكان الصحراء الذين قادهم سيدنا ابراهيم ان يروا فيها ارضا تدر عليهم لبنا وعسلا . وكم كان ممثلو الدول الكبرى واعضاء لجنة التحقيق الامريكيه البريطانية كرماء اسخياء عندما قرروا تقسيم فلسطين فخصوا سكانها الشرعيين والا كثرية الساحقة منهم بهذه الهضبة المجدبة المتعطشة الى الماء واغدقوا على الاقلية اليهودية الدخيلة منطقة السهل وغيرها من البقاع الخصبة الغنية ! ! !

وتختلف طبيعة الارض فى جنوب هذه الهضبة عنها فى وسطها وفى وسطها عنها فى شمالها فالقسم الجنوبى وهو مايعرف جغرافيا باسم هضبة يهودية أعلى الاجزاء كلها وهو مستوى السطح قليل الامطار وسكانه القليلون مبعثرون ومنتشرون هنا وهناك حيث توجد بعض المناطق الخصيبة القليلة وحيث تتفجر عين او يفيض ينبوع . والقسم الاوسط أو هضبة السامرية أرضه متموجة قليلة الارتفاع وتكون نهايتها الشمالية حافة الانكسار الغربى الشرقى الذى يعين بدء سهل اسرائيل وازدرايون الممتد فى نفس الاتجاه والذى يوصل بين السهل الساحلى ووادي الاردن ولهذا كانت مياهها وفيرة بسبب العيون

المتفجرة فيها وتربتها فى الجملة خصيبة وانتاجها وفير . وفى النهاية الشمالية تقوم هضبة الجليل وهى أوفر جهات فلسطين كلها مطرا واكثرها اعتدالا حقولها باسمة يانعة وسكانها كثيرون وقد حرص أعضاء مجلس الامم المتحدة الذين نصبوا انفسهم لرعاية حقوق الدول وانصاف الشعوب يوم اصدروا قرارهم المشئوم بتقسيم فلسطين على اعطاء اليهود نصيب الاسد من هذين القسمين الاخيرين ومن سهل اسرائيل وامتداده

ولنرجع الان الى كل قسم من هذه الاقسام لبيان أهم مميزاته ومعالمه الجغرافية :

ا – هضبة يهودا : تبدأ هذه الهضبة من منطقة النقب فى الجنوب حيث يفصلها عنها وادى بئر سبع اما حدها الشمالى فغير واضح ويمكن اعتباره منتصف الطريق بين بيت المقدس ونابلس . والنقب اقليم صحراوى أو شبه صحراوى فى أحسن حالاته ، يتكون من المثلث الجنوبى رأسه عند خليج العقبة وضلعه الغربى ساحل البحر الأبيض والشرقى الحائط الرأسى الذى تهبط به الأرض إلى البحر الميت ووادى عرابه . ومساحة هذا القسم تبلغ نصف مساحة فلسطين كلها تقريبا أى حوالى ٤٧٠٠ ميل مربع وتختلف مظاهره الجغرافية من جهة إلى أخرى فهو فيما جاور الساحل يتكون من أراضى متموجه تشبه فى شكلها العام السهل الساحلى الذى تقدم ذكره ولكنها أفقر منه تربة وأقل أمطارا . ولهذا كان انتاجها متذبذبا من سنة الى أخرى حسب كمية الأمطار الساقطة . أما القسم الثانى فيتكون من هضبة يصل ارتفاعها فى بعض الجهات الى اكثر من خمسمائة متر . وأخيرا هناك منطقة تلال وعرة تقرب من الجبال فى ارتفاعها وكثرة تضاريسها وهى أكبر الأقسام كلها إذ تبلغ مساحتها ٢٦٠٠ ميل مربع ولا تزال من أقل الجهات

المعروفة فى جغرافية فلسطين وان كان من غير المستبعد ان يكون اليهود قد قاموا بابحاث فيها والا لما طالبوا بها والحفوا فى الطلب . وقد عثرت على خطاب لأحد علمائهم فى هذا الشأن سأشير إلى مقتطفات منه فيما بعد

أما هضبة يهودية نفسها فهى بلاد مقطعة كثيرة الوديان التى تجف فى فصل الصيف . مناخها شديد التطرف ، فعلى حين تنخفض حرارتها انخفاضا كبيرا فى فصل الشتاء وتتساقط عليها إذ ذاك بعض الثلوج نراها شديدة القيظ صيفا حتى تتجاوز حرارتها ١٠٠°ف . ويساعد ارتفاعها على سقوط كميات معتدلة من الأمطار فى الفترة من أكتوبر (تشرين أول) الى أوائل مايو (مايس) — فيسقط فى مدينة القدس مثلا ١٦ بوصة من الامطار سنويا . كذلك يكثر الندى بسبب انخفاض درجة حرارة الليل وخاصة فى فصل الصيف . ولكن هذه الرطوبة على كثرتها سرعان ما تغوص فى التربة الكلسية . وتساعد كثرة العيوب والتكسرات الارضية على ظهور بعض هذه المياه مرة ثانية الى سطح الارض على شكل عيون . أما حيث تمتنع هذه العيون فقد عمد السكان الى حفر الآبار أو بناء الخزانات لحفظ المياه من الشتاء الى الصيف وساعدهم على ذلك الان كثرة وجود الأسمنت بعد انشاء مصنع كبير له فى مدينة حيفا . وقد كان وجود هذه الينابيع عاملا مهما فى تعين مواقع المدن ولهذا نراها (المدن) فى هضبة يهودية لا تتبع نظاما ثابتا فى توزيعها .

وتفسر لنا قلة المياه السطحية فى هذا القسم من فلسطين سبب فقره فى الحياة النباتية فالغابات لا وجود لها وكل ما هنالك شجيرات شوكية صغيرة من نوع Mequis أوراقها لامعة جلدية الملمس وتتخلل هذه الشجيرات فى موسم الامطار بعض الاعشاب شبه الصحراوية الكثيرة الازهار وأظهر

ما يكون نموها فى فصل الربيع ، وطبيعى أن تـكون الزراعة قليلة ومساحتها محدودة، ويفضل الاهالى الشعير على الحنطة لانه أكثر تحملا للجفاف وحتى هذا مهدد بخطر كبير فى الاقسام الجنوبية ففى سنة ١٩٣٥ كان معدل انتاج الدونم الواحد من الشعير فى بئر سبع تسعة كيلو جرامات بينما كان فى منطقة بحيرة طبرية ١١٨ كيلو جراما ، وفى سنة ١٩٣٦ وكانت أمطارها قليلة كما هبت ريح السيروكو (وهى تشبه الخماسين فى مصر) مبكرة ، هبط معدل الانتاج الى كيلو جرامين فقط للدونم ثم عاد فى السنة التى تلتها وارتفع الى ١٢ كيلو جرام (١) ولكن قد تنجح هنا الى حدما زراعة الشجيرات التى تتحمل الجفاف الطويل أو التى تمد جذورها الى مسافات بعيدة فى التربة كالزيتون والكروم والتين وحتى هذه يتخير لزراعتها عادة المدرجات لتستفيد من رشح المياه ولسهولة الاحتفاظ بمياه الامطار . فالقوم هنا يعيشون فى قلق شديد غير آمنين على موارد عيشهم معرضين للفاقة والمجاعات فى السنوات التى تقل أمطارها أو تشح . وهذه هى المنطقة التى اختص القضاة المنصفون فى مجلس الامم المتحدة العرب بالقسم الاكبر منها .

والخلاصة ان هضبة يهودية تعين منطقة انتقال بين الحضارة والبداوة وهى أقرب الى الأولى منها الى الثانية وكانت فى مختلف العصور التاريخية منطقة تنازع بين الحضارتين ، وحتى يومنا هذا نرى البدو فى سنى الأمطار القليلة يشدون رحالهم متجهين غربا بحثا عن الكلأ وقد لا يجدونه حتى يصلوا منطقة السهل الساحلى ، لذلك لعبت مدن هذا القسم من فلسطين دورا مزدوجا فى حياة البلاد ، فكانت أسواقا يقصدها سكان الصحراء للتزود بحاجياتهم كما كانت فى الوقت نفسه حصونا منيعة تقف فى وجههم إذا

(١) النظام الاقتصادى فى فلسطين. اسعيد حمادة: مطبوعات جامعة بيروت .

جاءوها مغيرين فمدينة الخليل تتحكم فى الطريق الجنوبى - جنوب البحر الميت كما تتحكم مدينة القدس فى الطريق الشمالى عبر الاردن وقد بنيت كل منهما على ربوة عالية تشرف منها على ما جاورها .

ولموقع بيت المقدس أهمية جغرافية خاصة فهى قائمة على شبه جزيرة مرتفع ٨٠٠ متر فوق سطح البحر يحيط بها واديان دائما الجريان ، فيستفاد منهما فى سقى المدينة فى فترات السلام وفى الدفاع عنها ابان الحروب ، ومثل هذا الموقع كان فى جميع أطوار التاريخ نقطة صالحة لقيام مدينة حصينة استطاعت رغم ما تعرضت له من تدمير وتخريب أن تظل قائمة عاصمة للبلاد مهما تغيرت ظروفها أو تبعيتها السياسية . وزاد من أهميتها مركزها الدينى . وقد اتسعت عمارتها وكثر سكانها فى الآونة الأخيرة ويبلغون الآن ١٣٠ ألف نسمة ، أكثرهم من اليهود

ويعرف القسم الشمالى من هضبة يهوديه باسم السامرية وهى منطقة كثيرة التلال المستديرة جبلية المظهر تتخللها كثير من السهول والوديان الصغيرة وتشغل فى جملتها منطقة يبلغ طولها من الشمال الى الجنوب خمسين ميلا وعرضها من الغرب الى الشرق ثلاثون ميلا فجملة مساحتها حوالى ١٥٠٠ ميل مربع. أمطارها وفيرة بسبب موقعها الشمالى - الناصرة ٢٧ بوصة فى السنة وانتاجها وفير وسكانها فى الجملة أحسن حالا من سكان القسم الجنوبى . وتنتهى الهضبة فى الشمال بانكسار يمتد من الغرب الى الشرق نشأ عنه هبوط فى الارض فى نفس الاتجاه يشغله الآن سهل ازدرليون ووادى امرائيل أو مرج ابن عامر ويوصل بين السهل الساحلى ووادى الغور . وتبلغ مساحته حوالى المائة وتسعين ميلا مربعا وهى منطقة عظيمة الخصب لكثرة الترسبات التى تجمعت فوقه بسبب تفتت الصخور الواقعة على حافتيه الشمالية والجنوبية

خاصة وان بعضها بركاني النشأة ، ولما كانت أمطاره وعيونه وفيرة فمجال التوسع الزراعى فيه كبير للغاية بل أنه يعد من هذه الناحية أحسن المناطق الفلسطينية كلها وقد اختص اليهود بالقسم الاكبر منه وانشأوا فيه عددا من مستعمراتهم الزراعية (شكل ٤)

ويخترق هذا السهل أحد أنهر فلسطين القليلة الدائمة الجريان وهو نهر المقطع (قيشون) ويصب فى البحر الابيض فى الطرف الشمالى لمدينة حيفا . وتتدرج الارض هنا تدرجا سهلا منتظما حتى تنتهى الى الغور شرقا وقد ساعد انبساط أرض هذا الوادى وخلوها من المدرجات والمنحدرات الحادة على اتخاذها طريقا سلكته الشعوب والجيوش منذ أقدم العصور فيما بين السهل الساحلى وداخلية البلاد وتسلكه الآن السكة الحديدية بين حيفا ودرعا فى شرق الأردن حيث تتصل بسكة حديد الحجاز التى كانت تنتهى فى المدينة المنورة والتى تتوقف الان عند معان



شكل رقم ٤
يبين توزيع الاراضي التى فى حوزة اليهود

حتى يتم اصلاح القسم الباقي من هذا الخط .

وترتفع الارض فيما الى الشمال من سهل ازدرليون وتتجدد المظاهر الجبلية والتلال المستديرة المتموجة وتكون في النهاية الجنوبية قليلة الارتفاع نوعا ثم تأخذ بعد ذلك في الارتفاع حتى تصبح على حدود لبنان وكأنها جزء منها وتبلغ أعلى نقطة فيها أكثر من الألف متر . هذه هى هضبة الجليل وتختلف عن اليهودية من عدة وجوه : فمناظرها الطبيعية متنوعة ما بين السهول والتلال والوديان وقسمها الشمالى يعلو الجنوبى بكثير على عكس اليهوديه ويقسمها وادى اسوشيص Asochis المستعرض قسمين الجليل العليا فى الشمال والجليل السفلى فى الجنوب[1] وتربتها وان كان قوامها من الصخر الجيرى الا أنها تغطيها وخاصة فى القسم الجنوبى كثير من المقذوفات البركانية . كذلك تكثر بها الانكسارات والعيوب الجيولوجيه وأخيرا فان أمطارها بسبب موقعها الشمالى أغزر منها فى اليهودية كما ان عيونها وفيرة لكثرة التشققات الأرضيه التى بها ، وماؤها جار فياض على مدار السنه ولهذا كثرت بها الاشجار وخاصه البلوط الحلى الدائم الخضرة وبعض أنواع الصنوبر ويقدرون ان ١٣ ٪ من مجموع مساحتها تغطيه الأشجار والاحراش ، وفى المناطق المنخفضة حيث تغطى الارض تربة مكونة من فتات الصخور الجيرية والبركانيه تقوم حقول الحنطة اليانعة .

---

(١) الجليل العليا عبارة من هضبة جبلية طولها من الشمال الى الجنوب ستة عشر ميلا وعرضها من الغرب الى الشرق خمسة وعشرون ميلا . أما الجليل السفلى فتتكون من سلاسل من التلال تمتد من الشرق الى الغرب يفصل بينها وديان كثيرة طولها من الشمال الى الجنوب سبعة أميال واتساعها من الغرب الى الشرق ثمانية وعشرون ميلا

والخلاصه ان هضبه الجليل تشبه فى خصبها ووفرة انتاجها بلاد لبنان لهذا كان سكانها أكثر عددا من سكان اليهودية والقرى والمساكن منتشرة بطريقة منتظمة فى ارجائها ومتقاربة بعضها من بعض وكانت منذ أقدم العصور مطمح انظار الغزاة والفاتحين وقد دخلها غزاة القرن العشرين من مهاجرى اليهود فأسسوا فيها عددا من مستعمراتهم . والمدن هنا من نوع الحصون التى بنيت لحراسة الطرق التى تجتاز هذا الاقليم وقد تنازع على امتلاكها المسلمون والصليبيون طول الحروب الصليبية . ومن أمثلة تلك المدن التى لا تزال قائمة الى الآن مدينة صفد القائمة على قصبة ركانية تشرف منها على طريق وادى أسرائيل .

ثالثا — وادى الاردن — الغور —

وادى الاردن أو الغور هو ثالث الاقسام الطبيعية التى تنقسم اليها فلسطين : وتشترك فيه مع المملكة الاردنية الهاشمية اذ أن خط الحدود بين الدولتين يشطره شطرين وجملة المساحة التابعة لفلسطين حوالى ٢٥٠ ميلا مربعا أو ما يقرب من نصف المساحة الكلية لهذا الوادى

والغور من المظاهرات الطبيعية الهامة فى جغرافية كل من فلسطين وسوريا. يمتد من خليج العقبة جنوبا حتى بحيرة الحولة شمالا ثم يظهر ثانية ممثلا فى وادى البقاع بين لبنان وانتى لبنان ويفصل بين قسميه الفلسطينى والسورى كتلة من الصخور الجيريـــة والبازلتية ، ينخفض الغور فيما جنوبها انخفاضا سريعا ويكون حوضا تتجمع فيه المياه هو بحيرة الحولة وهى التى يمكن اعتبارها بداية نهر الاردن وهذه لا تعلو سطح البحر باكثر من اربعة أقدام . يخرج الاردن من نهايتها الجنوبية وينتهى إلى بحر الجليل

أو بحيرة طبريـة وفى هذه المسافة القصيرة التى لا تزيد على عشرة أميال يبلغ انحدار الوادى اكثر من مئتى متر — بحيرة طبرية تنخفض ٦٢٥ قدما عن مستوى سطح البحر الابيض — ولهذا تكثر المنحدرات والمساقط المائية التى تستغل الان فى توليد الكهرباء كما سنرى . يستمر الاردن فيما بعد طبريـــة فى اتجاهه الجنوبى ، وكلما تقدم فى هذا الاتجاه زاد انخفاض الغور حتى ينتهى أخيرا الى البحر الميت الذى ينخفض عن مستوى ماء البحر بمقدار ٤٠٠ متر (١٢٩٠ قدما) وهى أوطأ نقطة على سطح الكرة الارضية كلها . وفيما جنوب هذا البحر يبدأ وادى عرابة وهو لا يزال جزءا من الغور وان كان سطحه قد ارتفع ولكن هذا بدوره ينخفض ثانية عن مستوى البحر فى نهايته الجنوبية حيث يبدأ خليج العقبة والبحر الاحمر وهما واسطة الاتصال بين الغور والاخدود الشرقى الافريقى

ووادى الاردن سهل ترسي من نوع الوديان الاخدوديـة متوسط اتساعـــه ما بين الخمسة والعشره أميال ويبلغ أقصى أتساع له فى منطقة بيسان وهى واسطة الاتصال بينه وبين وادى اسرائيل وكذلك عند اريحا بالقرب من نهايته الجنوبيه . وقد تكون هذا الغور على دفعات بدليل المدرجات التى نشاهدها على جانبيه فى الوقت الحاضر ، ويبدو انـه لم يصل بعد الى درجة الاستقرار بوليل كثرة الهزات الارضية التى تنتابه بين حين واخر . كذلك تذبذبت كمية المياه فيه من عصر الى الذى يليه تبعا لغزارة الامطار أو قلتها . وهناك من الأدلة ما يثبت ان مستوى المياه فيه كان يعلو مستوى البحر الميت الحالى بحو الى ٤٠٠ متر ثم أخذت مياهه فى الجفاف ولم يبق منها الا الاحواض الثلاثة التى ذكرناها — الحوله

وطبرية والميت — ويذهب بعض الباحثين الى ان أمطار فلسطين آخذة فى الزيادة وان مستوى البحر الميت آخذ فى الارتفاع تبعا لذلك.

اما البحر الميت نفسه فهو بحيرة يبلغ طولها ٧٦ كيلومترا واقصى عرض لها ١٦ كيلومتر تتجمع فيها الى جانب الاردن مياه السيول المتدفقة من الغرب — هضبة يهودية — والشرق — هضبة شرق الاردن — واكبر هذه كلها نهر اليرموك القادم من الشرق والذى يتصل بالاردن قبل دخوله فى البحر الميت. والبخر هنا كثير لشدة الحرارة والجفاف صيفاً ويقدرونه بحوالى ١٣٫٥ مليمتر فى اليوم الواحد ولهذا كانت نسبة الأملاح فيه كبيرة جدا — ٢٤ — ٢٦ — فى المائة من جملة مياهه ويساعد على زيادتها كثرة العيون الحارة المتفجرة على جانبيه والتى تخرج مياهها ومعها كميات كبيرة من الكلورات الذائبة فيها ، لهذا امتنعت فيه الحياتان النباتية والحيوانية — ومن ثم اسمه — وتحيط بشواطئه منطقة ذات تربة قلوية ،سبخه ، تغطيها مياهه المالحة فى فصل الربيع ثم تنكشف عنها بقية ايام السنة ويلى هذه من الشرق والغرب حائط مرتفع من الحجر الجيرى والرملى .

والسهل الفيضى الذى كونه نهر الاردن فيما أعلى هذه البحيرة عظيم الخصب لاحتوائه على طبقات سميكة من التربة الجيرية والبزلتية ولكن عظم انخفاض البحر الميّت جعل النهر يعمق مجراه فاصبح مستوى مائه وهو دون مستوى سطح السهل ومدرجاته بكثير ولما كانت الامطار هنا قليلة — عدد الايام الماطره لا يتجاوز العشرين سنويا وكميتها فى اربحا خمس بوصات والحرارة مرتفعة والبخر كثير فقد اصبح الغور فى كثير من

جهاته شبه صحراوى وصار الرى ضروريا لنجاح الاعمال الزراعية وقد قامت بعض الهيئات بتجارب من هذا النوع فنصبوا المكائن على الاردن وفروعه واصبحت بيسان على نهر جلعود واريحه التى تستغل مياه عين السلطان وعين دوك ومراكز أخرى على اليرموك حقولا يانعة تنتج محاصيل المناطق شبه المدارية بسبب حرارة الوادى كالموز والأذرة والبرتقال . أما حيث لم تمتد اليه يد الاستغلال الحديث فلا يزال وادى الاردن قفرا يسرح فيه البدو اغنامهم وابلهم وتقوم فية الزراعات الشتوية الضليلة فهو من هذه الناحية يشبه وادى عرابة الذى تظهر فيه الحياة الصحراوية ممثلة بأجلى معانيها : من حشائش شوكية متناثرة الى كثبان رملية ومناطق حصوية كثيرة ومجال التوسع الزراعى فى هذا القسم من فلسطين كبير كما سنرى عند الكلام على مائية البلاد والامكانيات الزراعية فيها

رابعا — الهضبة الشرقية

وهى وان كانت سياسيا خارجة عن حدود فلسطين الا أنها من الناحية الطبيعية متممة لها وتؤثر فى حياتها السياسية والاقتصادية ولهذا رأينا من الضرورى أن نأتى على أوصافها الأرضية التى تشبه من نواحى كثيرة أوصاف الهضبة الغربية .

ترتفع هذه الهضبة الى الشرق من الغور على شكل حائط شاهق يتراوح ما بين ١٥٠٠ ، ١٦٠٠ متر فوق مستوى قاع الوادى وفى نهاية هذا الارتفاع تنبسط الأرض مكونة هضبة مستوية تنحدر انحدارا تدريجيا صوب الشرق حتى تنتهى بالصحراء العربية وبادية الشام . وهى تشبه الحافة الغربية من حيث تدرجها فى الانخفاض كلما اتجهنا شمالا وخاصة فى القسم الواقع فى امتداد

سهل دز. ليون أما سبب ارتفاعها جملة عن الهضبة الغربية فيرجع الى كثرة الطفوح البركانية التى تجمعت فوق سطحها ولهذا الارتفاع فائدته ذلك لأنه يساعد على تكثيف السحب القادمة من البحر الأبيض والتى عبر شمال فلسطين دون أن تعترضها مرتفعات عالية ولهذا كثرت الأمطار على الحافة الشرقية للوادى عنها فى حافته الغربية وكانت الأنهار المنتهية اليه من الشرق أكثر وأوفر ماء من المنتهية اليه من الغرب ومن أمثلتها نهرا اليرموك والزرقا اللذان عملا على تفتيت الصخور الجيرية والبزلتية وكونا واديين تربتهما خصيبة صالحة للسكنى والاستقرار وخاصة عند اتصالها بالأردن .

ولما كانت الأحوال المناخية تتغير تغيرا سريعا كلما بعدنا عن الغور أمكن تقسيم الهضبة الشرقية من حيث موارد مياهها الى ثلاثة أقسام طولية وهى من الغرب الى الشرق :

١ ــ الحافة الانكسارية الغربية المطلة على الغور وهى جافة شديدة الحرارة تغشاها القبائل الرحالة إلا حيث تخترقها الوديان العميقة المنتهية الى الأردن فتنمو على سفوحها أشجار الزيتون وبعض ثمار البحر الأبيض وتستغل قيعانها فى بعض الزراعات الشتوية .

٢ ــ المنطقة الثانية . وتلى الحافة مباشرة الى الشرق واتساعها من ١٥-١٨ ك . م وفيها ينزل قدر من المطر يضمن نجاح الزراعات الشتوية ولهذا قامت فيها المدن والقرى ومراكز الاستقرار الأخرى التى ينزل فيها العرب المتحضرون الذين تحولوا من حياة الرعى الى الاشتغال بالزراعة فدرعا وإربد والصلت تقوم كلها فى هذا القسم .

٣ - المنطقه الثالثة وهى منطقة العشب التى يمكن اعتبارها مقدمة للصحراء الحقيقية وفيها تنزل القبائل الرعوية التى كثيرا ما ترحف غربا كلما

قلت الأمطار . وفيما بين الزراعة والعشب توجد شقة ضيقة تقوم فيها الزراعة في سني المطر الوفير والافهي رعوية . وفيها تنتشر خرائب المدن المندثرة وبقايا الحصون التي كانت تقوم على حراسة الزراعة من غارات البدو وتمر بها الآن سكة حديد الحجاز وطريق الحج الذي كانت تسلكه القوافل بين دمشق والمدن المقدسة .

هذا من ناحية استغلال الأرض أما من الناحية الطبيعية فان هضبة شرق الأردن يمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام مستعرضة يتميز الواحد منها عن الآخر من حيث الارتفاع فهناك .

١ — القسم الجنوبي . ويمتد من صحراء العرب عند خط عرض ٣٠° شمالا تقريبا الى معان ويعرف باسم إدوم « Adom » وهي منطقة صحراوية الا في بعض نقاط في الوديان العميقة المنتهية الى وادي عرابة ذلك لان المجاري المائية استطاعت إبان العصر الماطر أن تعمق وديانها الى مادون الحجر الجيري ووصلت الى الصخور الرملية التي بأسفله وحيث تتصل الطبقتان تظهر بعض العيون وعليها قامت زراعات صغيرة محدودة ونشأت بعض القرى .

٢ — القسم الاوسط . أو هضبة مواب « Moab » ويمتد من نهاية أدوم الشمالية حتى وادي عرنون أوجب « Mujib » وهي أكثر خصبا من سابقتها بسبب الجيوب الأرضيه ذات التربه الحمراء وبسبب الوديان الكثيرة التي تكون خطوطا من ألواحات تمتد من الشرق الى الغرب فتصل الصحراء بوادي الاردن ولهذا كانت هذه الهضبة أكثر تعرضا لغارات البدو فكثرت فيها القلاع الحصينة التي تبادلها العرب والفرنجة آبان الحروب الصليبية ومن أمثلتها الشيوك والكرك ولا يزالان قائمين الى الآن وهما من

المدن العامرة فى المملكة الأردنية .

٣ ـ القسم الشمالى : ويشمل المنطقة الواقعة الى الشمال من نهر عرنون وفيه تأخذ الأرض فى الانخفاض تدريجيا حتى يصبح ارتفاعها وهو لا يتجاوز ٨٠٠ متر فوق سطح البحر . كذلك يقل تقطع الهضبة الا حيث يخترقها نهرا الزرقا واليرموك ويكون المظهر العام للبلاد مماثلا تماما لهضبة يهودية . هذه هى بلاد جلعاد التى جاء ذكرها فى التوراة والتى تعرف الآن باسم البلقاء وعجلون وهى منطقة خصيبة كثيرة الزرع تكسوها حقول الحنطه وتقوم بها بعض أحراش البلوط (شكل ٣) .

فهضبة شرق الاردن كانت ولا تزال طريقا يسلكه المسافر بين دمشق وغيرها من المدن السورية الى بلاد العرب واليمن ويدور حولها من يقصد دلتا النيل الغنية عن طريق وادى عرابة المرتفع نوعا فيتجنب بذلك الغور والبحر الميت . وهذا يفسر لنا أهمية مدينة بطرة فى العصور الغابرة فقدكانت عاصمة الانباط وجمعت ثروة طائلة تتمثل فى النقوش الجميلة التى تعد بحق من أنفس ماخلفته المدنيات القديمة فى هذا القسم من الشرق الادنى . قامت هذه المدينه فى واد ضيق عميق كان يتحكم فى الطريق الشمالى الجنوبى فسهل عليها تحصينه ، وقد حافظ القوم على استقلالهم قرون عديدة لا يعنيهم من أمر الجزيرة والنازلين حولهم سوى تجارتهم فلما ان جاء الرومان واستولوا على هذه المدينة زجوا بها فى معترك حروب الدول النازلة فى شرق البحر الابيض ففقد الانباط استقلالهم وضاعت معه فرديتهم وشخصيتهم كما ضاعت تجارتهم .

١ ـ والخلاصة ان فلسطين وان تعددت اقسامها وتميز الواحد منها عن الاخر من الناحية الطبيعية فانها بلاد صغيرة لا يمكن اى قسم منها ان

يقوم وحده من غير معاونة الاقسام الاخرى له فقد اختص بعضها كالسهل الساحلي مثلا بالتربة الخصيبة والمطر الكافي والمياه الباطنية الغزيرة وكلها عوامل تساعد على كثرة الانتاج ووفرة الغلات التي يمكن الاعتماد عليها في تغذية سكان المناطق المجدبة الداخلية كهضبة يهودية وصحراء النقب ووادى الاردن . فاختصاص فئة من السكان به دون الفئة الاخرى فيه ممالأة لهذه الفئة على تلك

٢- ولما كان التوجيه الجغرافي لهذه البلاد هو صوب البحر الابيض فان تحكم اليهود في المدن الساحلية فيه قتل لتجارة العرب وقفل لمنفذهم الطبيعي الى هذا البحر خاصة بعد ان اظهر اولئك من العدا نحو سكان البلاد الاصليين واصحاب الحق الشرعي فيها ما أظهروه

٣ — اضف الى هذا أن امتداد الهضبة الغربية من الشمال الى الجنوب يحول دون اتصال الجهات الداخلية بساحل البحر وبالعالم الخارجي الا عن طريق المنفذ الطبيعي الاوحد وهو سهل دزراليون ووادى اسرائيل — مرج ابن عامر — وهذا بدوره يقود الى ميناء حيفا وهي الميناء الطبيعي الوحيد في فلسطين كلها ، فهل من شرعة الانصاف وضع هذا الطريق في يد الاقلية اليهودية تتحكم فيه وتعترض سبل مواصلات البلاد الرئيسية ؟ ان تجاهل العوامل الجغرافيسة كان ولا يزال مصدر الشر ومثير الضغائن بين الشعوب وكان المأمول وقد تعرضت الدول الغربية لا كثر من حرب طاحنة بسبب هذا التجاهل الا تغمض عينها عنه مرة أخرى فتزج بالبلاد العربية بل وبنفسها في حرب ضروس ثالثة

٤ - وسنرى في الفصل التالي أن امطار فلسطين تقل من الشمال الى

الجنوب وان هذه الامطار في مجموعها دون كفاية الزراعة الفلسطينية التي تعتمد الى درجة كبيرة على المسايل والانهر التي تأتيها من سوريا ولبنان والمملكة الاردنية الهاشمية فكل تجاهل لهذه الحقيقة ممن يريدون تقسيم هذه البلاد الصغيرة فيه اجحاف كبير بفئة وأغداق على الفئة الاخرى وهو للأسف ما رأيناه في خارطة تقسيم فلسطين تلك الخارطة التي تريد الدول الغربية الان ارغام العرب على قبولها اذ اختصت اليهود بالمناطق الشمالية والسهلية الساحلية الموفورة المياه وحشرت العرب حشرا في المناطق المجدبة الداخلية والجنوبية .

٥ - من هذا وغيره مما سنقدمه في الفصول التالية نرى ان كل محاولة لتقسيم فلسطين تتعارض مع الوضع الجغرافي لهذه البلاد لاعتماد وحداتها بعضها على بعض كل الاعتماد بل ولا عتمادها ايضا على جاراتها تغذيها بالمياه وتمونها بالحبوب وغيرها من المواد الغذائية وتمدها بالبترول وهو المورد الاساسي لوقودها. هذا اذا طرحنا وراء ظهورنا وحدة الجنس واللغة والدين والصلات التاريخية التي تمتد الى أقدم العصور التاريخيه وهي العوامل التي اقام لها مؤتمر فرساي كل الوزن عند اعادة رسم خريطة أوربا بعد الحرب العالمية الاولى والتي وضعها ميثاق الاطلنطيق حينما اجتمع الاقطاب الثلاثة ليضعوا انجيلهم الجديد لعالم جديد ولكنه انجيل يدين بدينين ويكيل بكيلين

الفصل الثاني

مناخ فلسطين وموارد المياه فيها

ان الابحاث المستفيضة التي قامت بها الحكومة المنتدبة والهيئات اليهودية المختلفة أثبتت أن فلسطين فقيرة في معادنها وان المصدر الوحيد لهذه الثروة هو الاملاح الكثيرة الذائبة في مياه البحر الميت ، واحجار البناء وخاصة الاحجار الجيرية المنتشرة في ارجاء البلاد ولهذا فاعتماد البلاد كان وسيظل على مواردها الزراعية وان كل تقدم في اقتصادياتها مرتبط باستغلال تربتها ومواردها المائية .

وفلسطين بحكم موقعها الجغرافي في النهاية الشرقية الجنوبية لحوض البحر الابيض المتوسط تقع في منطقة الانتقال بين مناخ هذا الاقليم والمناخ الصحراوي . ويتأثر هذا المناخ بالمؤثرات البحرية والصحراوية على حد سواء . ففي فصل الصيف تخفف الرياح الهابة من البحر من حدة حرارة الصيف وتزيد من رطوبة الهواء وخاصة في المناطق الساحلية والسفوح البحرية للمرتفعات الغربية ولكن هذا الأثر يضعف كثيرا في الجهات الداخلية والمناطق الجنوبية وتتغلب عليه المؤثرات الصحراوية وأظهر ما تكون هذه أثناء هبوب الرياح الصحراوية الجافة الشديدة الحرارة المحملة بالرمال وهي من نوع الخماسين المصرية وهو الاسم الذى تعرف به أيضا في فلسطين وقد تسمى أحيانا باسم الشيروكو الحارة ويكون هبوبها من الصحراء العربيه فيما بين ابريل ومايو (نيسان ومايس) ومن سبتمبر الى نوفمبر (ايلول الى تشرين الثاني) أى في فترة الاعتدالين وهي فترة هبوبها في مصر .

وفى فصل الشتاء تعمل الرياح الغربية والمنخفضات (الاعاصير) الهابة من البحر الأبيض ونسيم هذا البحر على التلطيف من حدة الشتاء كما تسوق الأمطار الى السهول الساحلية والسفوح الجبلية المطلة عليها ويظهر تأثيرها بجلاء فى المناطق الشمالية ويقل تدريجيا كلما اتجهنا جنوبا حتى يكاد يختفى فى الاطراف الجنوبية لصحراء النقب . أما الجهات الداخلية فتتعرض للرياح الشمالية والشمالية الشرقية الهابة من الجهات الصحراوية وهى التى يطلق عليها محليا اسم الشيروكو الباردة وتنخفض درجة الحرارة هنا وعلى الجهات المرتفعة إلى التجمد وما دونه وقد تتساقط الثلوج فى هذا الفصل فتؤثر تاثيرا سيئا فى المحاصيل الشتوية كما تؤثر الرياح الحارة في أشجار الفاكهة اذ يتصادف هبوبها فى وقت تكوين الأزهار وكذلك فى المحاصيل الشتوية نفسها اذا هبت قبيل نضوجها أى عند ما تتكون سنابل الحنطة والشعير فى الحالة اللبنية فتسبب ذبولها وانضمارها .

ومع هذا فالاختلاف بين درجات الحرارة في أجزاء فلسطين ليس كبيرا بالدرجة التى نشاهدها فى الاقطار ذات المساحات الكبيرة واظهر ما يكون هذا الاختلاف هو ما يحدث نتيجة لعامل الارتفاع . أما خط العرض والبعد عن البحر فتأثيرهما فى الحرارة قليل جدا بسبب صغر مساحة البلاد فأقصى امتداد لها هو ٢٦٠ كيلو مترا من الشمال الى الجنوب ، ١١٥ كيلو متر من الغرب الى الشرق : ولهذا كان المتوسط السنوى لدرجات الحرارة فى غزة ٦٧° ف وفى تل أبيب ٦٩° ف وفى عكا ٧٠° ف أما فى مدينة القدس وهى على ارتفاع ٨٠٠ متر فوق سطح البحر فيكون ٦٣° ف وفى اريحا وتنخفض عن مستوى سطح البحر بأكثر من ٢٥٠ مترا فيبلغ ٧٤° ف . واشد الاشهر حرارة في فلسطين هـــو شهر اغسطس (آب) -

وتكون متوسط حرارته فوق السبعين درجه فهرنهيت اما ابردها فهو يناير (كانون الثانى) ولا تنخفض حرارته فى المتوسط عن ٤٧ °ف فى القدس على حين تصل الى ٥٥ °ف على الساحل فى تل أبيب وترتفع الى ٥٧ فى اريحا الواقعة فى غور الاردن

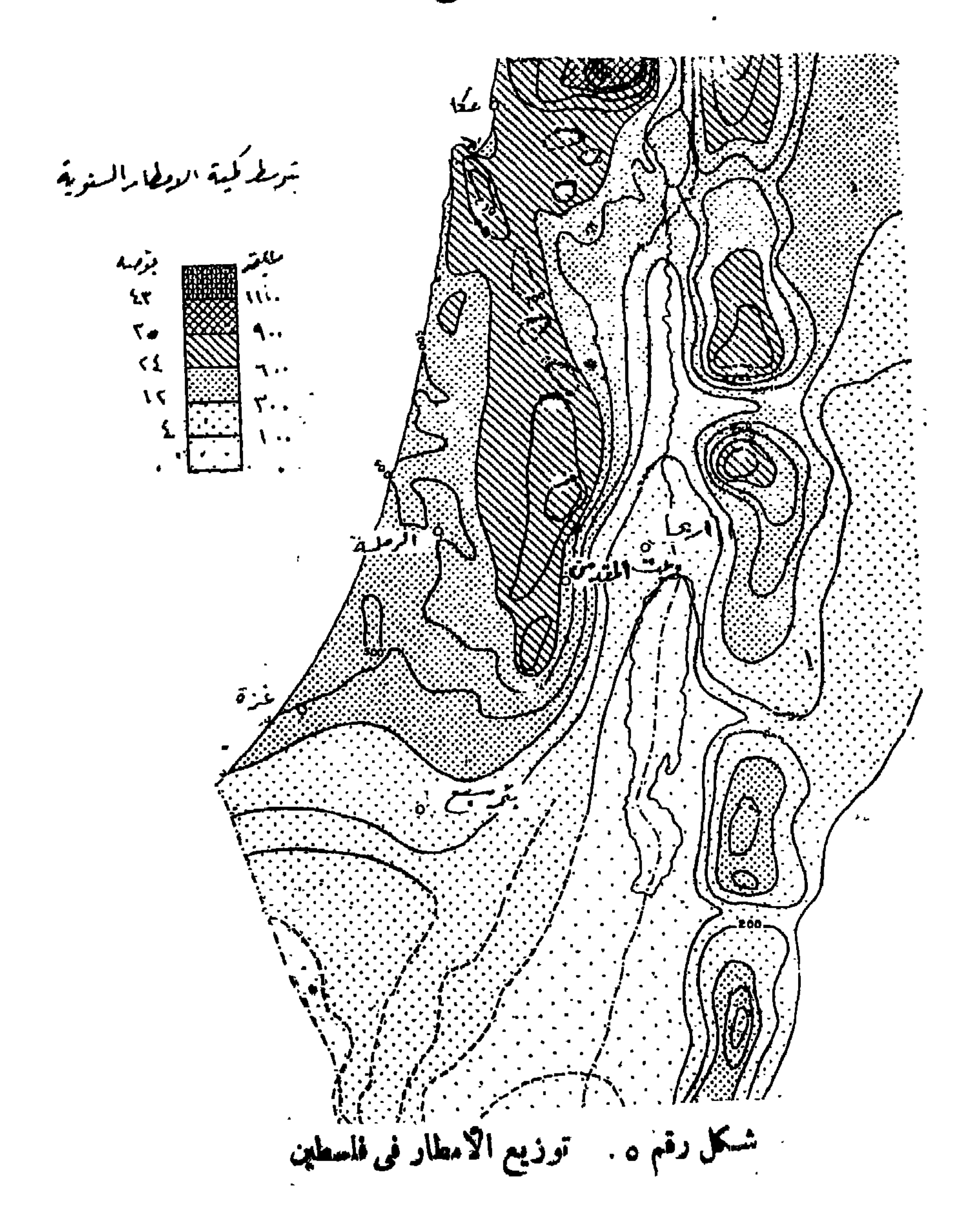
من هذه الارقام وغيرها مما سنورده فى الجدول التالى يتضح لنا أن درجات الحرارة فى فلسطين تساعد على النشاط الزراعى فى جميع فصول السنه اللهم الا فى الفترات التى تهب فيها ريح الشيروكو الحارة والباردة فقد تتأثر بعض الزراعات بهذه الرياح ولهذا كان العامل الاساسى فى نجاح الزراعة أو فشلها هو كمية المياه المستمدة أما من الامطار أو العيون أو من الانهر ويلى المياه فى الاهمية نوع التربة من حيث صلاحيتها للاعمال الزراعية أو تعرضها للانجراف بفعل السيول والامطار المتدفقة من الجبال

١ - موارد المياه : يبدأ فصل الامطار في فلسطين فى شهر أكتوبر أو نوفمبر (التشرينين) وينتهى فى أبريل (نيسان) وتتساقط معظم الامطار في الفترة من « نوفمبر » تشرين الثانى الى مارس « أذار » . ويمتد فصل الجفاف من مايو الى أكتوبر « مايس الى تشرين الاول » . وأمطار فلسطين من نوع تلك التي تصيب أقليم البحر الابيض تسببها الرياح العكسية والاعاصير التى تسوقها هذه الرياح فى فصل الشتاء بصفة خاصة أى على أثر تراجع مناطق الضغط الجوى صوب الجنوب عند تراجع الشمس الظاهرى الى مدار الجدى وتتمثل فيها جميع مظاهر أمطار هذا الاقليم من حيث فترات الاشراق الطويلة وتركز الامطار عادة فى قلب الشتاء أى في الفترة من ديسمبر الي فبراير « كانون الاول الي شباط » . أما أمطار

الخريف والربيع فهى على قلتها عظيمة الفائدة فى ترتيب وتنظيم الزراعة الشتوية بل وفى نجاحها فيستفيد الفلاح من الاولى « أمطار الخريف » فى حرث أرضه وبذر البذور وانباتها ثم تغذيها أمطار الشتاء وتساعد على الاكثار من سيقان النبات وبعد ذلك تأتى امطار الربيع فتعمل على تغذية البذور التى تكون قد تكونت فى السنابل فتملأها بالمادة النشوية وتعمل على نجاح المحصول الزراعى . فلو تأخرت احدى هذه الامطار الثلاثة أو انحبست تعرض المحصول لخطر البوار والفشل .

ولما كانت فلسطين واقعة فى النهاية الجنوبية الشرقية لاقليم البحر الابيض وفى منطقة الانتقال بين هذا الاقليم واقليم الصحراء كانت أمطاره عرضة لذبذبة كبيرة ففى بعض السنوات قد يمتنع سقوط الامطار الربيعية كما أنه كثيرا ما تطول فترة الجفاف بين الامطار الاولى «الخريفية» وأمطار الشتاء فيتعرض النبت للجفاف ويموت الكثير منه . أما اذا أنحبست أمطار الربيع أو قل سقوطها عن المعدل فان الحاصل يكون قليلا بسبب أندمار البذور أو جفافها فالاختلاف بين كمية الأمطار ومواعيدها عرضة للتغير الكبير من سنة إلى أخرى مما يجعل الزراعة وخاصة فى الجهات الداخلية والجنوبية مهددة باخطار كثيرة . أما المناطق الساحلية والسفوح الجبلية المواجهة للبحر فامطارها فى العادة وفيرة وكافية للاغراض الزراعية كما يتضح ذلك من الخريطة الآتية (شكل رقم ٥) وهى الخريطة التى أعدتها مصلحة الارصاد الجوية الفلسطينية ومنها يتضح أن ٤٣٪ فقط من فلسطين كانت يصيبها ١٢ بوصه من الأمطار وأكثر وأن ٢٥٪ لا يصيبه الا أربع بوصات أو اقل . كذلك نلاحظ أن أكثر الجهات مطرا هى المرتفعات الغربية وسهل أزدرليون ووادى أسرائيل وأن هذه الامطار تبلغ غايتها فى هضبة الجليل بسبب موقعها

الشمالى كما أسلفنا وفيها كلها تزيد كمية الامطار السنوية على ٤٠٠ ملليمتر أو ١٦ بوصة . تليها بعد ذلك منطقة السهل الساحلى من جبال الكرمل جنوبا حتى جنوب مدينة غزة بقليل، وتتراوح أمطارها بين ١٦ ، ١٢ بوصة



شكل رقم ٥ . توزيع الامطار فى فلسطين

ويدخل فى هذا القسم الجزءان الاعلى والاوسط من وادى الأردن.
وأخيرا توجد منطقة الاردن الادنى وبحر الميت ووادى عرابة وإقليم النقب وفيها كلها تقل الامطار عن ١٢ بوصة وقد تصل الى أقل من نصف هذا فى أريحا حيث تبلغ ٥ بوصات. أما فى النقب فتنخفض الى بوصتين أثنتين فقط.

وعلى هذا يمكن أن نقسم فلسطين من حيث أمطارها الى أربع وحدات: السهول والمرتفعات الشمالية ويمثلها كل من عكا والناصرة : السهول الساحلية وتمثلها تل أبيب : منطقة بئر سبع وتمثلها هذه المدينة ثم وادى الاردن والنقب وتمثلها مدينة أريحا.

وفى الجدول الاقصى (٢٦) ملخص لحالة المناخ من حيث درجات الحرارة وكمية الامطار موزعة على أشهر السنة فى كل من هذه الأقسام الأربعة.

غير أن هذه المتوسطات على ما فيها من فائدة من حيث أنها تعطينا صورة تقريبية لحالة المناخ فى شتى أجزاء القطر الفلسطينى ليست مأمونة ولا يمكن الاعتماد عليها، لأنها كما ذكرنا عرضة للذبذبة الكبيرة فقد ينزل فى يوم واحد قدر من المطر يعادل المتوسط الشهرى كله أو يزيد ففى حيفا مثلا وأمطارها حوالى الستة عشر بوصة فى السنة نزل فيها فى يوم واحد أحدى عشرة بوصة، وقس على ذلك بئر سبع واريحا. ومثل هذه الامطار المتفجرة وخاصة فى المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية ذات تأثير ضار جدا بالتربة لانها تجرفها وتعرى الارض منها ولهذا أسوأ العواقب على الزراعة، ومن ثم كانت مشكلة انجراف التربة Soil Erosion من المشكلات الخطيرة فى حياة الزراعة الفلسطينية، فيعمد زراع المناطق الجبلية والجهات الشديدة الانحدار الى تسوية السفوح وعمل المدرجات يحيطونها بسياجات

جدول (١) – عن المجلة الجغرافية الامريكية عدد يوليه سنة ١٩٤٧ ص ٤٤١

		يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيه	يوليه	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المعدل السنوى	النهاية الكبرى	النهاية الصغرى	
عكا	حرارة °ف	٥٦	٥٦	٥٩	٦٤	٦٩	٧٣	٨٠	٨١	٧٧	٧٣	٦٨	٥٩	٧٠	١١٠	٣٤	(١)
٦١ قدما	مطر بوصه	٥ر٥	٧ر٩	٠ر٩	٠ر٧	٠ر٢	—	—	—	٠ر٢	١ر٣	٤ر١	٢ر٧	٢٤ر٥			
الناصرة	حرارة	٤٩	٥٤	٥٦	٦٣	٦٨	٧٤	٧٨	٧٩	٧٧	٧٥	٦٥	٥٤	٦٦	١١١	٢٥	
١٦٠٨ قدم	مطر	٦ر٣	٤ر٦	٣ر٧	١	٠ر٢	—	—	—	—	٠ر٨	٣ر٤	٧ر١	٢٧ر١			
تل ابيب	حرارة	٥٥	٥٨	٦١	٦٦	٧١	٧٦	٨٠	٨١	٧٨	٧٣	٦٦	٥٨	٦٩	١١٥	٣٧	(٢)
١٠٥ قدم	مطر	٥ر٦	٤ر٥	٠ر٦	٠ر٦	٠ر٢	—	—	—	٠ر١	٠ر٨	٣ر١	٥ر٢	٢٠ر٨			
بئر سبع	حرارة	٥٤	٥٤	٦٠	٦٦	٧٣	٧٧	٨٩	٨٠	٧٧	٧٣	٦٧	٥٨	٦٨	١١٥	٢٣	(٣)
٩٣٨ قدم	مطر	١ر٩	٢ر٢	٠ر٧	٠ر٤	٠ر١	—	—	—	—	٠ر١	٠ر٨	١ر٦	٧ر٨			
اريحا	حرارة	٥٧	٥٩	٦٥	٧٢	٨٠	٨٥	٨٨	٨٨	٨٥	٨٠	٧١	٦٠	٧٤	١٢٠	٣٦	(٤)
	مطر	١ر٣	١ر٣	٠ر٢	٠ر٤	٠ر١	—	—	—	—	٠ر١	٠ر٤	١ر٢	٥			

حجرية لحجز المياه ومنع تآكل التربة .

تصريف المياه فى فلسطين : يقدر A. C. Willatts فى مقاله المنشور فى مجلة الجمعية الجغرافية الملكية الانجليزية عدد أبريل سنة ١٩٤٧ ، كمية الامطار الساقطة على فلسطين ، اذا استبعدنا كل ما يقل عن عشر بوصات، بما يبلغ ٧٠٠٠ — ٨٠٠٠ مليون متر مكعب فى كل سنة ولكنه يرى أن الكمية التى تتسلمها البلاد فعلا هى ١٠٠٠٠ مليون متر مكعب ، ومنشأ هذه الزيادة هى العيون والينابيع التى تستمد مياهها من سوريا ومن نهر الاردن ، ثم يتطرق من هذا الى القول بان المرتفعات الوسطى تكون خط تقسيم لهذه الامطار فتحول ثلثى هذا القدر نحو البحر الابيض والثلث الباقى شرقا الى وادى الاردن والبحر الميت ، وأن حوالى ثلثى هذه الامطار كلها يضيع بالبخر مباشرة أو بالبخر من أوراق الاشجار والنباتات غير الزراعية ، أما ما يتصرف فعلا الى البحر الابيض فلا يتجاوز ٣٠٠ مليون متر مكعب وما يتصرف شرقا يقل عن ذلك كثيرا — حوالى ١٨٠ مليون م^3 . هذا وتزيد كمية المياه المتسربة الى الطبقات الباطنية عن الاثنين معا بكثير وهو يقدرها بحوالى ١٤٠٠ مليون متر مكعب فى منطقة التلال و ٤٠٠ مليون أخرى فى السهل الساحلى ومن هذا القدر الكبير لا يعود ثانية الى السطح الظاهرى سوى حوالى ٧٠٠ مليون متر مكعب نصفها فى الغرب والآخر الى الشرق من خط التقسيم ويكون ظهورها على شكل عيون أو آبار يستفاد منها الآن فى الأعمال الزراعية . أما الباقى فيفيض إلى البحر الأبيض عن طريق خطوط الانكسارات التى حدثت فى مناطق الصخور الصماء التى توجد بأسفل مناطق تجمع المياه الارتوازية وشبه الارتوازية وهى التى يعتمد عليها الآن الى درجة كبيرة فى زراعة الاثمار الحمضية فى السهل الساحلى . وقد كثر استخدام

هذه الآبار واشتد استخراج الماء منها حتى أصبح يخشى من انخفاض مستوى هذه المياه الباطنية عن مستوى ماء البحر الابيض واذ ذاك سوف تنعكس حركة فيض المياه الباطنية فتتجه المياه الملحية نحو الداخل بدلا من تسرب المياه العذبة الى البحر واذا ما اختلطت المياه الملحة بهذا المستودع المائى الباطنى أصبحت هذه الآبار غير صالحة للزراعة وفقدت فلسطين منطقة من أغنى مناطقها الزراعية وزراعة من أهم موارد الثروة فيها ونعنى بها زراعة الثمار الحمضية . ولهذا أصبح من الضرورى تنظيم حفر الآبار فى اقليم السهل الساحلى وقياس ابعادها ومقارنة الكميات التى تضخ منها بكمية المياه المتسربة اليها . ويمتنع هذا الخطر على السفوح الشرقية والغربية للمرتفعات الوسطى ولكن عمق الآبار يزداد كثيرا حتى يبلغ ٦٥ – ١٣٠ قدما ولهذا كان الاعتماد الأكبر على العيون المتفجرة عند خطوط الانكسارات .

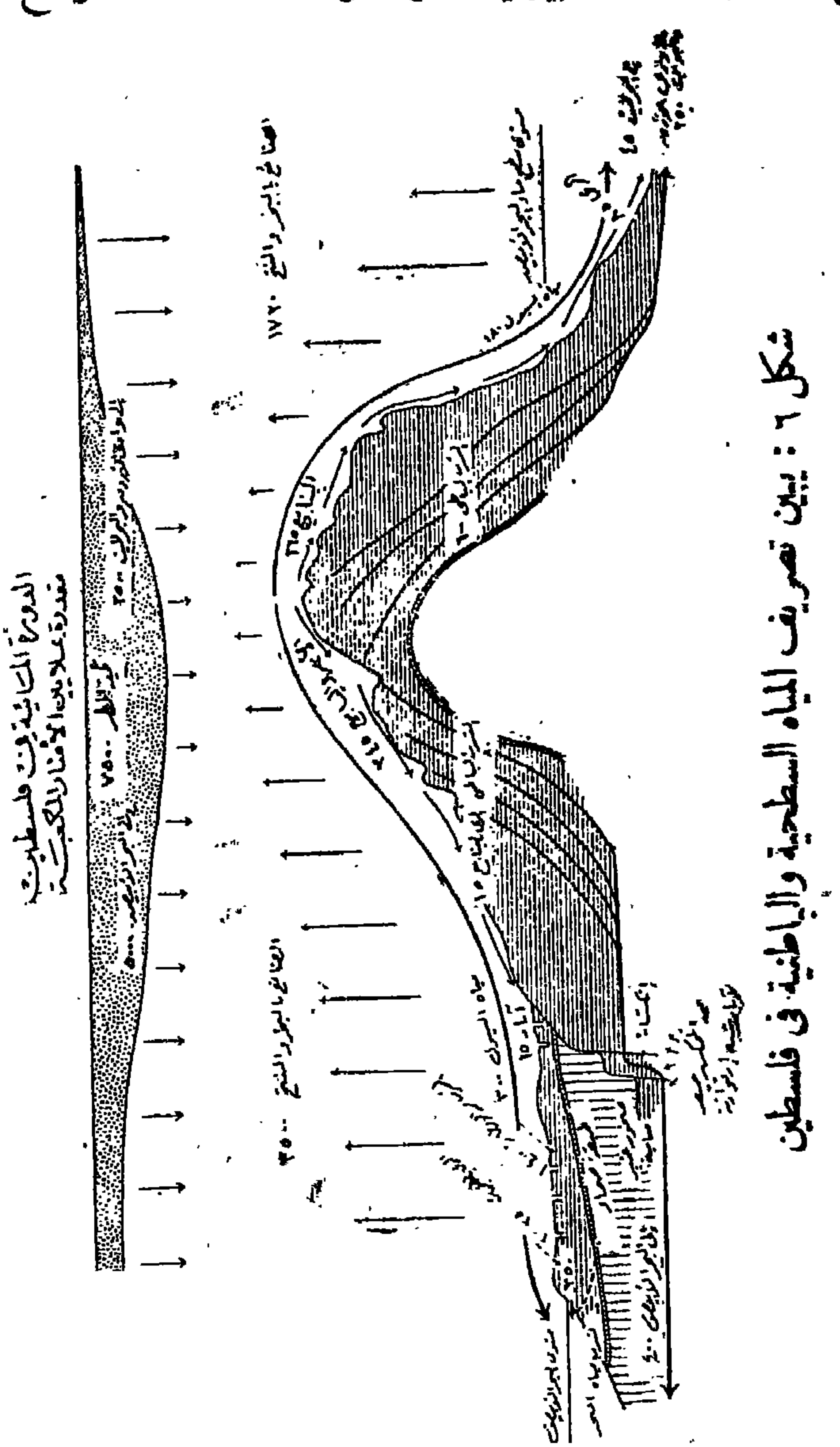
ويبين الشكل الآتى (شكل ٦) المنقول عن المقال المذكور حركة المياه الباطنية فى فلسطين ومنه نستنتج أهمية تنظيم أعمال الرى وضرورة هذا التنظيم لنجاح الأعمال الزراعية . وفى هذا تقول احدى اللجان التى ألفتها الحكومة البريطانية لدراسة أحوال فلسطين [1] « ان مياه الآبار هى الآن ولربما ظلت فى المستقبل أهم وسيلة للرى فى فلسطين » أما بناء الخزانات على مجارى الأنهار وهى الطريقة المتبعة فى مصر وفى العراق أو فى الهند والولايات المتحدة فهى غير مأمونة ، بسبب كثرة مسام الصخور الجيرية التى تتكون منها فلسطين وقد ثبت هذا بالتجربة فى منطقة بئر سبع حيث أقيم خزان من هذا النوع على أحد الأنهر فوجد ان ٩٢ ./. من كمية المياه المنتهية الى هذا النهر من منطقة تغذيته قد ضاعت بالتسرب فى الطبقات الباطنية ولم يصل الى أعلى الخزان سوى ٠٧ ./. فقط ولم تزد كمية المياه المحفوظة فى هذا

---

(١) تقرير اللجنة الفلسطينية الملكية : سنة ١٩٣٧ ص ٢٥٣

الخزان على نصف ./. من جملة تلك المياه كلها .

وخلاصة البحث ان فلسطين فقيرة جدا فى مورد مياهها وأنه على الرغم من كل ما كتبه دعاة الصهيونية والمروجون لها فان مجال التوسع الزراعى



شكل ٦ : يبين تصريف المياه السطحية والباطنية فى فلسطين

فيها قليل جدا ولهذا فان السماح بالهجرة الى هذه البلاد سوف يؤدى الى خفض مستوى حياة سكانها الأصليين لأن التوسع فى الزراعة اليهودية معناه انتقاص لموارد المياه الباطنية التى يعتمد عليها العرب فى انتاج محاصيلهم وأما القول بامكان زيادة المساحة المنزرعة بالاكثار من حفر الآبار فهو ما لا يرتكز على دليل علمى بل ان الابحاث التى عملت تذهب الى عكس ذلك وقد خشيت الحكومة المنتدبة فى السنوات الأخيرة من حكمها مغبة التوسع فى حفر هذه الآبار (١) لعلمها ان مثل هذا التوسع قد يؤدى الى استنزاف الماء الباطنى فى بقعة من البقاع وهذا بدوره قد يؤثر فى مستواه فى الجهات المجاورة ولهذا عمدت الى انشاء محطات لمراقبة التغيرات فى مستوى المائى الباطنى ورسم الخرائط الموضحة لهذا المستوى . واليهود على بينة من هذا الخطر ولكنهم يروجون له حتى يقنعوا العالم بامكانية استيعاب البلاد لعدد يزيد عن سكانها الحاليين أو بعبارة أخرى لزيادة الهجرة الى هذه البلاد التى بلغت الان درجة الاشباع .

والأنهر الفلسطينية فيما عدا الأردن ونهر العوجة الذى يصب فى البحر الأبيض الى الشمال من يافا بقليل عبارة عن سيول جبلية تجرى فترة قصيرة بعد نزول الأمطار ثم لا تلبث أن تجف ولهذا لا يمكن الاعتماد عليها فى الرى . وقد تكلمنا عند ذكر الأوصاف الأرضية للغور على أهمية الأردن فى امكان التوسع الزراعى فى واديه وأشرنا الى نجاح بعض المشروعات التى أقيمت فى منطقتى بيسان واريحا معتمدة على المضخات التى أقيمت على مجرى النهر نفسه أو على استغلال مياه العيون ويقدرون ان فى منطقة

(١) كان عدد الآبار التى حفرت حتى ١٩٣٧ : ثلاثة آلاف بئر أو أكثر يضخ كل منها ١٧٥٠ قدما مكعبا من الماء فى الساعة الواحدة

بيسان ١١٢٫٠٠٠ دونم صالحة للزراعة ولكن مياه العيون لا تكفى الا لارواء ٣٥ ٪ فقط من هذه المساحة . أما نهر العوجة فهو نهر صغير دائم الجريان ينحدر من الهضبة الغربية وهو كثير المنعطفات عميق المجرى ولهذا لا بد من اقامة المضخات لرفع مائه الى مستوى الأرض ويستخدم بالدرجة الأولى فى رى بساتين البرتقال فى هذه المنطقة ، وتوليد بعض الكهرباء

وليس أمامى ما أختم به هذا البحث عن موارد المياه الفلسطينية أحسن من العبارة التى جاءت فى صفحة ٢٢١ من تقرير اللجنة الملكية البريطانية سنة ١٩٣٧ « أن كل زيادة ملموسة فى القوة الانتاجية لاراضى فلسطين يجب أن تعتمد فى الدرجة الاولى على التوسع فى نظام الرى مع قيام الرقابة الحكومية المنظمة على موارد المياه فى هذه البلاد » . وهذا التقرير هو ما يجب أن تضعه الحكومة العربية نصب عينيها اذا ما سويت مشكلة فلسطين وسمح للرعايا اليهود بممارسة الزراعة فى مستعمراتهم والمناطق النازلين فيها لان لهم مشروعات وأبحاثا لو نفذت لحرمت القرى العربية من مياهها وأنزلت الجدب بأراضيها .

وثمة مشكلة أخرى تحتاج الى علاج سريع نأمل أن يتم حلها على يد الحكومة الوطنية العربية بعد أن عجزت الحكومة المنتدبة عن ذلك فى الثلاثين سنة الأخيرة ونعنى بها مشكلة ملكية مياه الرى . ذلك أن القانون العثمانى كان يبيح للمالك أن يبيع أرضه ويحتفظ بملكية السواقى والمرافق المائية التى تغذيها . وقد أوجد الاحتفاظ بهذا الحق مشاكل كثيرة لان ملاكى المياه لم يسايروا الفلاحين والزراع فى التحسينات التى أدخلوها فى مزارعهم فبقى الكثير من هذه المجارى دون الكفاية وتقضى المصلحة الآن ان تؤول ملكية المياه ومجاريها ومنابعها الى الحكومة تعمل على تحسين مواردها وتنظيم مجاريها وتضمن توزيع المياه بالعدل بين المنتفعين بها .

الباب الثانى

موارد الثروة فى فلسطين

الفصل الاول

ـ الزراعة

فلسطين بلاد زراعية قبل كل شيء وقد دل آخر أحصاء قامت به الحكومة المنتدبة على أن أكثر من نصف سكان البلاد يشتغلون بهذه الحرفة على حين أن ١٤ ./· فقط يعتمدون على الصناعة . ويلاحظ أن جانبا من هذه الصناعات كالصابون وتقطير الخمور وعصر الزيتون يعتمد فى الدرجة الأولى على منتجات الحقول كما أن البرتقال وحده يكون ٧٥ ./· من جملة صادرات البلاد .

وقد تكلمنا فى الفصل السابق على المطر وأهميته فى تعين المناطق الزراعية وتحديد درجة أمكانياتها وحذرنا القارىء من كل مبالغة فى تقدير كمية الموارد المائية ونبهنا الى الغاية التى يرمى اليها اليهود من وراء دعايتهم .

والآن نأتى الى العامل الثانى من عوامل قيام الزراعة ونقصد بها التربة واختلافها من جهة الى أخرى فى أنحاء هذا القطر العربى .

رأينا فى دراستنا للاوصاف الأرضية أن فلسطين يمكن تقسيمها الى خمس مناطق تختلف الواحدة منها عن الأخرى فى مميزاتها الطبيعية وهى :

(١) السهل الساحلى : (٢) السهول الداخلية — (٣) منطقة المرتفع

والهضاب (٤) منطقة الغور ووادى الاردن (٥) النقب ومنطقة بئر سبع

وهذا التقسيم يتفق الى درجة كبيرة مع التركيب الطبيعى للتربة كما أنه يتفق مع التقسيمات المناخية ولهذا يمكن أن نعتبره أساسا لدراسة الزراعه فى فلسطين .

أولا السهل الساحلى : وهو من الناحية الزراعية ، المنطقة الممتدة من أقصى الشمال عند رأس الناقورة الى جنوب مدينة غزه بقليل . حده الغربى ساحل البحر الابيض والشرقى المرتفعات والهضاب الفلسطينية وأرضه كما ذكرنا سهلة مستوية عدا على الساحل حيث توجد بعض الكثبان الرملية . أما اتساعه فيختلف من جهة الى أخرى فيبلغ أضيقه عند حيفا وجبل الكرمل (ثلاثة كيلو مترات) وأوسعه فى النهاية الجنوبية حيث يصل الى الثلاثين كيلو مترا ، ويتوسط فيما بينهما فيبلغ ١٨ كيلو متر عندطولكرم .

وتربة هذا القسم رملية خفيفة أو مختلطة بقليل من الطمى ونسبة الرمل فيه ٨٠ ٪ أو أكثر أما العشرون بالمائة الباقية فهى من الطمى وفتات الصخور ولهذا فهى تمتص الماء بسرعة كبيرة ، وكمية الجير فيها قليلة .وتساعد حرارة الصيف وكثرة المسام على سرعة جفافها ولكنها تمتاز بقلة ملوحتها كما تمتاز أيضا بوجود طبقة سفلية ذات تكوينات طفلية تعرف محليا باسم «ساقية» توجد على عمق متوسط وهى صماء تمنع المياه السطحية من التسرب الى أعماق بعيدة مما يساعد على حفر الابار ورفع المياه لأغراض السقى والرى وهذا مما جعل منطقة السهل الساحلى صالحة جدا لزراعة الثمار الحمضية . ولكن من الخطأ أن نعتبر كل هذا القسم منطقة ثمار حمضية لأن التربة فى الاقسام الشمالية والشرقية والجنوبية منه تصبح ثقيلة نوعا وتخصص فى الدرجة الأولى لزراعة الحبوب . ومن الممكن التوسع هنا أيضا فى زراعة

الخضروات، والنباتات العلفية اللازمة لتغذية الماشية الحلوب فى فترة الجفاف الطويلة ويقوم اليهود الان فى مستعمراتهم بالكثير من هذه الزراعة المشتركة وخاصة فيما قارب المدن الكبرى .

والسهل الساحلى من أكثر جهات فلسطين ازدحاما بالسكان ففيه حوالى ٧٠٠ ألف نسمه ٣٢٠ ألف منهم من العرب ، ٣٨٠ ألف من اليهود. وكثرة اليهود هنا سبق ان بينا سببها وهى كثرة المستعمرات التى أسسوها فى هذا القسم الخصيب ولوجود مدينة تل أبيب اليهودية البحتة وهى أكبر مدن فلسطين كلها ومدينة حيفا ذات الأكثريه اليهودية .

ثانيا : السهول الداخلية : وهى المحصورة بين هضبة الجليل في الشمال والسامرية واليهودية من الجنوب والتى اطلقنا عليها اسم سهل دزرليون ووادى اسرائيل - مرج ابن عامر - وتربتها من النوع الثقيل المكونة من ترسيات الانهار والجداول المنحدرة اليها من هذه الهضاب وتتخللها ايضا بعض التربة البركانية لكثرة الطفوح فى هذه المنطقة . وتبلغ التربة هنا سمكا كبيرا كما انها تحتفظ بمياهها ولما كانت المنطقة كثيرة الامطار وفيرة العيون فقد اصبحت الزراعة فيها مضمونة ويساعد استواء سطحها على استخدام الآلات الزراعية الحديثة ومن ثم كان البون كبيرا بين مزارع اليهود والعرب فيها فالدونم من الحنطة فى مزارع العرب يتراوح انتاجه بين ٤٠ - ٥٠ كيلوجراما على حين يصل فى المزارع اليهودية الى ١٥٠ أو ٢٠٠ كيلوغرام

وهذا السهل صالح لزراعة الحبوب الشتوية والنباتات العلفية والخضروات ولا تجود فيه زراعة الثمار الحمضية ولهذا عمدوا الى زراعة الفواكه

النفضية مثل التفاح والبرقوق وعلى حافته الشرقيه عند مدخل وادى الاردن تزرع الفواكه المدارية والدفيئة كالموز والكرم

واكبر المدن العربية هنا مدينة جنين أما مدينة عفوله فغالبية سكانها من اليهود

ثالثا : منطقة المرتفعات والهضاب : وتشمل القسم المحصور بين وادى الاردن شرقا والسهل الساحلى غربا وبين هضبة النقب جنوبا وخط الحدود الفلسطينية اللبنانية شمالا وذلك عدا منطقة السهول الداخلية التى ذكرت في الفقرة السابقة . ونظرا لتنوع تضاريس هذا القسم واختلاف بنيته من جزء الى اخر ونقص امطاره كلما أتجهنا جنوبا فقد تنوعت تربته وقيمته الزراعية

والتربة فى هذا الاقليم فى جملتها من النوع الخفيف ولكنها تختلف من حيث قدرتها على الاحتفاظ بالماء ومن حيث خصبها وسمكها . وهى وان كانت مستمدة من الصخور الجيرية السائدة الا ان هناك جهات تربتها بزلتية بركانية نشأت من تفتت الطفوح البركانية واكثر ما تكون هذه فى القسم الشرقى لهضبة الجليل. كذلك نشاهدفى هذا القسم من فلسطين جهات كثيرة وقد تجردت تماما من التربة وذلك بسبب عظم انحدار الارض وطبيعة الامطار الجارفة وعدم وجود الغابات والاحراش التى تحفظ التربة من الانجراف والانهيار . وقد اصبحت مشكلة انجراف التربة فى فلسطين من الامور التى تتطلب علاجا سريعا . اما حيث امكن الفلاحون ان يحافظوا على تربة اراضيهم بعمل المدرجات أو زراعة الاشجار وكذلك فى الوديان وعلى السطوح المستوية المحمية من الانجراف والخالية من الاحجار الكبيرة فنشاهد الان، اذا توفر الماء من المطر أو العيون، بعض

المزارع الناجحة تنتج المحاصيل الشتوية من حنطة وشعير وعدس ولوبية وبرسيم وبعض المحاصيل الصيفية (على الري) خاصة السمسم والذرة . أما اشجار الفاكهة فكلها ايضا من النوع الذى لا يحتاج الى السقى ويعتمد على امطار الشتاء فقط كالزيتون والكرم والتين والخرنوب والرمان والمشمش . وتنمو هنا وخاصة فى الاجزاء الشمالية الفواكه النفضية كالتفاح والكمثرى والبرقوق. والهضاب الفلسطينية هى أهم مناطق زراعة الزيتون ويزيد عدد أشجاره الان على عدد اشجار البرتقال [1]

وقد قدرت اللجنة الملكية البريطانية فى سنة ١٩٣٧ الجزء القابل للزراعة فى القسم الجبلى بما يبلغ ٤٧ ٪ من جملة مساحته كلها [2] .

رابعا: منطقة الغور أو وادى الاردن : يمكن تقسيم هذه المنطقة الى قسمين : سهل الحوله ووادى الاردن .

(١) سهل الحولة : وتحف به التلال والمرتفعات من الغرب والشمال والشرق وتصل فى أرتفاعها الى الألف متر تقريبا وهو مستوى السطح فى الاتجاه الغربى الشرقى ولكنه يهبط بمدرجات سريعة صوب الجنوب

---

(١) كانت جملة المساحة المشجرة سنة ١٩٤٢ فى منطقة الهضاب ٨٤٥ر٧٥٥ دونم أكثر من نصفها زيتونا .

(٢) مساحة الهضاب الشمالية ٢٫٨٣٠ر٣٠٠ دونم يصلح للزراعة منها ١٫٠٥٤ر٠٠٠ دونم أى ٥١ ٪ .

مساحه الهضاب الجنوبية ٦٫٠٥٠ر٣٠٠ دونم يصلح للزراعة منها ٢٫٧٦٥ر٠٠٠ دونم أى ٤٦ ٪ .

مساحة القسمين معا ٨٫٠٧٨ر٦٠٠ دونم يصلح للزراعة منها ٣٫٨١٩ر٠٠٠ دونم أى ٤٧ر٢ ٪ .

Toseph Weitz : Palestine Agricnltiura Polenlialities p 16.

ويتوسطه منخفض تتجمع فيه المياه مكونة بحيرة الحولة التي يمكن أعتبارها مستنقعا كبيرا . وقد بدىء قبل الحرب الثانية بتجفيف الاراضي المحيطة بهذه البحيرة وحول الكثير منها الى مزارع للحنطة والشعير والاذرة والخضروات والبرسيم وغيره من النباتات العلفية كما زرعت بها الثمار الحمضية وأشجار الجوز والتفاح . وقد نجحت هذه كلها بسبب خصب التربة لانها مكونة من ترسبات نهرية وبحيرية تحتوي على الكثير من المواد النباتية المتحللة. وتساعد كثرة العيون المتفجرة من الحافات الجبلية على نجاح الزراعة في هذا القسم وأهم هذه العيون كلها تلك التي تستمد مياهها من مرتفعات سوريا ولبنان ويقدر المهندس بلاس Blass اليهودي كمية المياه المنتهية الى هذا السهل بحوالى ٨٠٠ - ٩٠٠ مليون متر مكعب في السنة لا تحتاج الزراعة الا لقسم صغير منها ولهذا فهم يفكرون في تحويل بعضها الى المناطق الجافة الموجودة في وادي الاردن .

ويذكر الاستاذ سعيد حماده في كتابه « النظام الاقتصادي في فلسطين » أن مشروع تجفيف منطقة الحولة قديم وكان قبل الحرب العالمية الأولى معطى من قبل الحكومة العثمانية لجماعة من تجار بيروت ولكنه أنتقل فيما بعد من أيديهم الى أيدي جماعة من يهود فلسطين مقابل مبلغ من المال ، ويقدرون أنه من الممكن تحويل سبعة وخمسين الف دونم الى حقول يانعة وقد بدأت تظهر آثار هذا الاستصلاح وأشترط على الشركة القائمة بهذه العملية أن تقتطع السكان العرب النازلين في هذه المنطقة جزء من هذه الاراضي يقدر بسبعة عشر الف دونم » . هذا وفي النية ترك جزء من هذه البحيرة لتربية الاسماك .

(ب) <u>وادي الأردن</u> : ويشمل المنطقة الممتدة من جنوب الحولة حتى

مصب الاردن فى البحر الميت . وهى جميعها دون مستوى سطح البحر ويقسمه جغرافيو اليهود الى أربعة أقسام . فهناك حوض جينوسار Ginossar وهى المنطقة الهلالية الشكل الواقعة بين تلال الجليل وبحيرة طبرية ثم منطقة داجنيا Dagania وتقع بين بحيرة طبرية ونهر اليرموك ويلى هذه منطقة بيسان Beisan . وحدها الشرقى نهر الاردن والشمالى نهر اليرموك عند أتصاله بالاردن ونهايتها الجنوبية وادى مالح . أما النهاية الجنوبية لمنطقة الأردن فهى سهل اريحا وهنا تبلغ الأرض غاية أنخفاضها عن سطح البحر .

وجملة مساحة هذا القسم ٦٢٨ كيلو مترا يصلح للزراعة منها حوالى ٤٠٠ كيلو متر ولكن تربتها تختلف من جهة الى أخرى فهى طينية خفيفة فى القسم الشمالى وجيرية فى الوسط والجنوب ، كان تكوينها نتيجة عاملى التحات من الصخور الجيرية التى تحف بالوادى بفعل الأمطار المتساقطة عليها الارساب فى قاع البحيرة التى كانت تمتد قديما كما ذكرنا وتشغل كل منطقة ببيسان ووادى الاردن الحالى ولهذا جاءت تربة هذا الاقليم سميكة وتصلح لزراعة الحبوب الغذائية والبرسيم والخضروات والموز والثمار الحمضية بشرط توافر الماء اللازم لأنها منطقة قليلة الامطار جدا كما أوضحنا عند الكلام على المناخ .

وتتخلل هذ الوادى مساحات سبخية كبيرة . وتبلغ نسبة الاملاح فى بعض الحالات درجة عالية جدا تتعذر معها عملية الاستصلاح الزراعى كما هو الحال فى القسم الجنوبى من منطقة بيسان وفى بعض جهات منطقة اريحا حيث لا يصلح للزراعة منها إلا ثلاثون كيلو مترا مربعا فقط . وقد

اشرنا الى بعض المجهودات التى بذلت فى هاتين المنطقتين لاستصلاح أراضيهما برفع المياه اليها وغسلها من الاملاح [1]. ولكن مدى التوسع الزاعى هنا كما هو فى جميع فلسطين مرهون فى الدرجة الاولى بتوفير هذا الماء بصفة منتظمة دائمية واذ ذاك يمكن التوسع فى زراعة الخضروات المبكرة بسبب أرتفاع الحرارة ، والنباتات العلفية والحبوب ثم الموز ونخيل التمر وبعض الثمار الحمضية .

خامسا : النقب ومنطقة بئر سبع : وتشمل كما ذكرنا النصف الجنوبى من فلسطين حيث تقل الامطار فى المعدل عن عشر بوصات سنويا ولهذا كانت قليلة الانتاج صحراوية أو شبه صحراوية فى أكثر جهاتها .

وسكانها قليلون جدا لا يتجاوزون التسعين الفا غالبيتهم من البدو الرحل الذين يعيشون على رعى الاغنام والماعز وبعض الابل، والباقون ينزلون فى ثلاث مدن هى فى الواقع قرى صغيرة : أحداها وهى بئر سبع وتتوسط منطقة الهضبة ويسكنها ست الآف نسمة والاثنان الاخران وهما خان يونس ويبلغ سكانها عشرة الاف ثم رفح على خط الحدود المصرية الفلسطينية وسكانها حوالى ١٦٠٠ فقط وتقعان على الساحل .

والزراعات القليلة التى يمارسها سكان هذا القسم لها مركزان : أولها فى المنطقة الساحلية فيما حول خان يونس ورفح حيث يزرع القمح والشعير

---

(١) لقد نجحت بعض المستعمرات اليهودية فى تقليل نسبة الأملاح فى الأراضى الواقعة شمالى البحر الميت من ١٧ ٪ الى ١ ٪ وحولتها الآن الى مزارع للخضروات والفاكهة والنباتات العلفية ولكن مساحتها قليلة جدا ، كما كانت نفقات غسلها واعدادها للزراعة باهظة

وبعض الخضروات كالبسلة والبطيخ وقليل من أشجار اللوز والعنب وثانيها فى هضبة بئر سبع وبعض الواحات الصناعية وهى التى يعمل السكان على خلقها باقامة السداد الترابية فى مجارى السيول بحبس مياهها ومنعها من الضياع فى رمال الصحراء : وتساعد التربة فى هذين القسمين على إمكان قيام هذه الزراعات. فى منطقة السهل الساحلى توجد باسفل الرمال السطحية طبقة من التربه اللويسية تحتفظ بالمياه المتسربة اليها فترة طويلة فيمكن زراعة المحاصيل الشتوية والصيفية أيضا كالاذرة وبعض أشجار الفاكهة كما يمكن فى السنين القليلة الامطار ممارسة الزراعة الجافة. وتوجد مثل هذه التربة اللويسية أيضا فى الهضبة النقبية وهى تربة منقولة بفعل الرياح مختلطة بنسبة عالية من الرمال الناعمة (٥٠ - ٨٠٪) والجير ، يسهل نفوذ الماء اليها ولكنه لا يتبخر منها سريعا ولهذا كانت أصلح مناطق النقب كلها للزراعة على الرغم من قلة أمطارها (٦ - ١٠ بوصات) وذلك لاحتفاظها بالماء المنتهى اليها ولكثرة الندى الذى يتكون ليلا بسبب الاختلاف الكبير بين حرارة الليل والنهار .

ويعلق يهود فلسطين امالا كبارا على هذا الاقليم ولهذا رأيناهم عندما بسم لهم الدهر وناصرتهم الدول ذات الاطماع الاستعمارية فى الشرق الاوسط يطالبون بضمه الى دولتهم المزعومة. وقد قاموا هناك منذ سنة ١٩٤٠ أى فى ظلال حكومة الانتداب بابحاث علمية كثيرة فدرسوا التربة وأنشأوا محطات لرصد الظواهر الجوية وقاسوا تصريف المياه السطحية والباطنية وحفروا الابار واسسوا حقولا للتجارب الزراعية وتركزت هذه المجهودات فى منطقة خان يونس وبئر سبع وعسلوج وقد أشرفت على هذه الابحاث هيئة الابحاث الكيمياوية للوكالة اليهودية وقسم الارصاد الجوية

فى الجامعه العبرية وقد قامت الهيئه الاولى فى خلال سنة واحدة بدراسة التربة فى منطقة تبلغ مساحتهامليونين ونصف مليون دونم . ولم يقم اليهود بهذه الابحاث والدراسات تحقيقا لاغراض علمية أو لتنمية مواردالبــــلاد الاقتصادية وانما لتوسيع نفوذهم السياسى وليتخذوا منها تكأة يعتمدون عليها فى مدملكهم المزعوم . وانى اذ أقرر هذا لست متجنيا عليهم وانما أنقل بكل أمانة ماكتبه احد المشرفين على هذا المشروع . ففى ١٣ فبراير سنة ١٩٤٧ كتب الدكتور K. Kollner من مصلحة الارصادالجوية الفلسطينية الى الدكتورجون . ك رايت John K. Wright رئيس تحرير المجلة الجغرافية الامريكية خطابا يستعرض فيه نواحى النشاط الاقتصادى فى فلسطين فى مدة الحرب وفيه يقول :

« . . . . . . أما فى مجال الاستعمار والاستقرار اليهودى فقــد أحرزنا تقدما جوهريا اذ أمكن منذ بدء الحرب (الثانية) تأسيس أكثر من ثمانين مستعمرة جديدة فى شتى أنحاء البلاد وأخص بالذكر من هذه منطقتين وهما حوض الحولة الأعلى والنقب . وكان حوض الحولة موبوءا بالملاريا ١٠٠ ٪. فامكن الآن القضاء على هذا المرض تماما نتيجةاستخدام الهيئات العسكرية والحكومية (لا اليهودية) لمادة د . د . ت . . . .

. . . .

وقد أنشئت مؤخرا بناء على النتائج التى توصلت اليهامحطات التجارب الثلاث، قرى جديدة فى القسمين الشمالى والاوسط من النقب وبذلك أصبح عددها (القرى) سبعة عشر قرية . . . .

وأن الاسس التى استرشد بها الاستعمار اليهودى خلال هــذه السنوات (فيما بعد الحرب) كانت أقتصادية أى تأسيس قرى جديدة يمكن أن نستوعب

عددا أكبر من السكان المزارعين، وسياسية: فقد كانت الاعتبارات السياسية هي الدافع الأول لانشاء المستعمرات اليهودية في أجزاء من من الجليل الأعلى وبصفة خاصة في النقب لاثبات حقنا فيهما اذا ما أخذ بمبدأ التقسيم [1]»

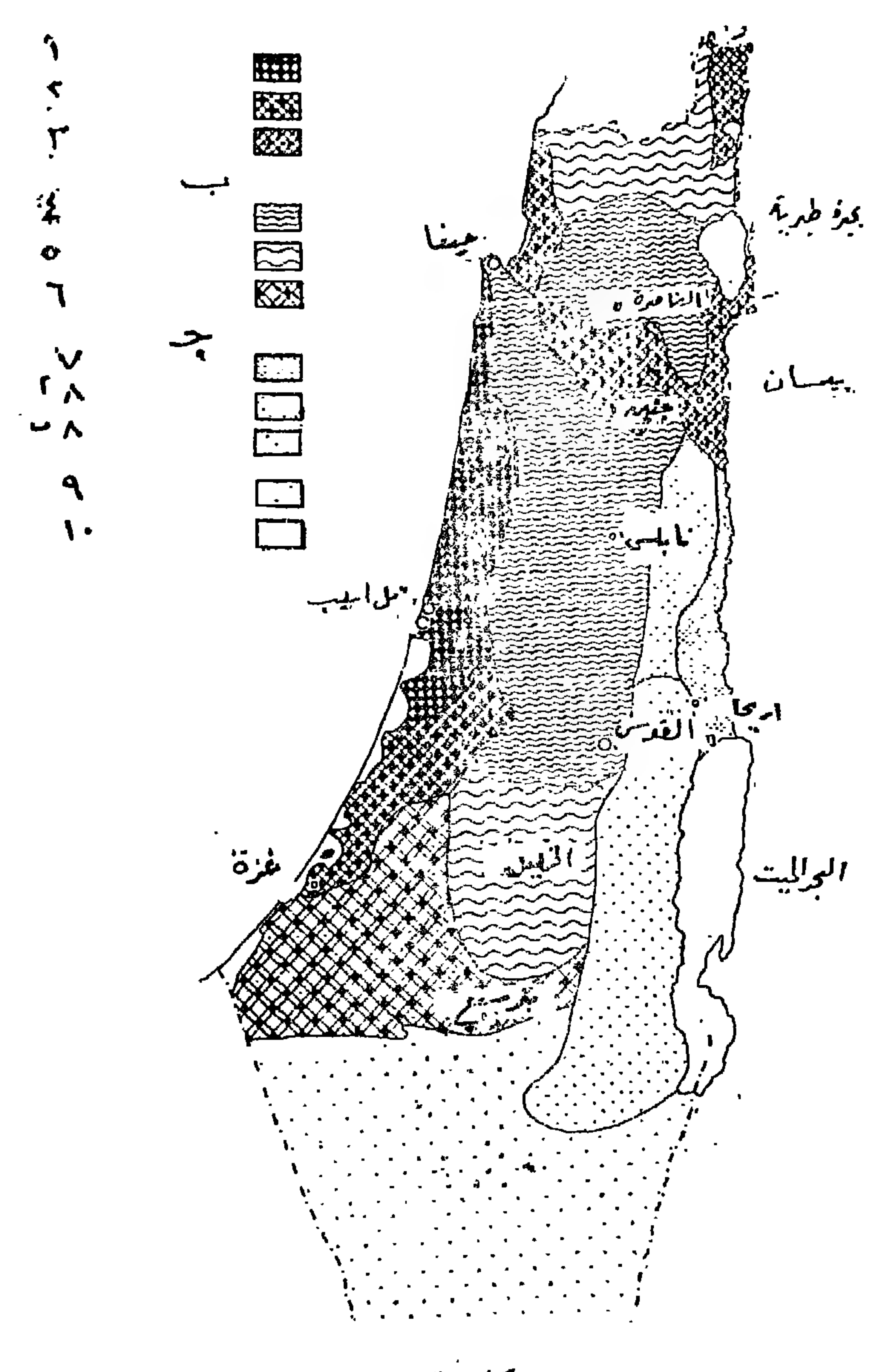
ومع اعترافهم بعدم كفاية الموارد المائية في هذا القسم من فلسطين لأي توسع زراعي فهم لا يقنطون من استغلاله ويأملون أن يتمكنوا من جلب الماء اليه من المنطقة الشمالية في قنوات ومجاري صناعية وللكاتب اليهودي جوزيف فيتز J. Weitz بحث مستفيض في هذا الموضوع يخلص منه الى امكان زراعة مليون دونم بالفائض من المياه الشمالية وأكثر من ١٠٠ ألف دونم بالمياه المحلية عدا ربع مليون دونم أخرى يمكن تشجيرها. وهذه المساحات الجديدة، وهو المهم في نظره، يمكن أن تستوعب حوالي ٤٠٠,٠٠٠ نسمة من مهاجري اليهود!! فهل لنا أن نتدبر الخطر قبل وقوعه؟

هذا وقد قامت اللجنة الأمريكية البريطانية بدراسة الأراضي الفلسطينية من حيث صلاحيتها للزراعة ومدى الاستفادة منها في الوقت الحاضر ولخصت دراستها هذه في الجدول والخريطة الآتيين (شكل ٧).

---

1 - The Guiding principles of Jewish colonisation during these years has been both economic - the establishment of new villages which con absorb more farmer population - and politi cal. It was mainly from political considerations that Jewish Settlements were established in parts of Upper Galilee and particularly in the Negeb to Stake claims in case of partition.

Geographica Review : p. 459 Tuly- 1947.



شكل رقم (٧)

تصنيف الأراضى الفلسطينية حسب قيمتها الزراعية

جدول (٢) تصنيف الاراضي الفلسطينية

نوع الاراضي	مدى الاستفادة منها
(ا) اراضي جيدة	
١ ـ أراضي من الطراز الأول : مستوية أو متموجة قليلا ذات تربة خصيبة ومورد مائي يكفي للاغراض الزراعية .	زراعة الثمار الحمضية وزراعة كثيفة للخضروات والنباتات العلفية .
٢ ـ أراضي جيدة ذات تربة طينية تشبه سابقتها ولكن معدل أمطارها أقل .	زراعة الثمار الحمضية والخضروات وبعض الحبوب .
٣ ـ أراضي حيدة ذات تربة طينية سميكة تصلح لمختلف المحاصيل الزراعية ويمكن اذا توفرت وسائل الري قيام الزراعة الكثيفة فيها .	الحبوب والنباتات العلفية والفواكه النفضية
(ب) أراضي متوسطة الجودة .	
٤ ـ أراضي المرتفعات الجيرية ثم المنحدرات والمدرجات الصناعية . تربتها رقيقة تتخللها صخور ناتئة وبها بعض وديان ذات تربة سميكة	الحبوب وأشجار الزيتون والكرم والفواكه النفضية .
٥ ـ مرتفعات تشبه سابقتها ولكنها أكثر منها صخورا وأشد منها انحدارا ومن ثم كانت مساحتها المنزرعة أقل مما في (٤) .	الحبوب واشجار الزيتون والكرم والفواكه النفضية (بمقادير أقل) .
٦ ـ جهات منخفضة شبه صحراوية ذات تربة لويسية جيدة ولكن الزراعة فيها محدودة بسبب قلة الأمطار وعدم انتظامها .	الشعير والحنطة والبطيخ
(ج) أراضي رديئة .	
٧ ـ أراضي منخفضة ذات محاصيل فصلية محدودة وبعض المراعي . بعضها شديد الملوحة وبها مساحات كبيرة ص[illegible]فرت وسائل لري	مراعي فصلية وبقاع اروائية صغيرة في بعض الجهات الصالحة .

مدى الاستفادة منها	نوع الاراضى
مراعى فصلية واسعة فى « ا » وضيقة جدا فى «ب» مع مناطق زراعية صغيرة جدا .	٨ - سفوح جبلية جافة جردتها عوامل التعرية من التربة وهى قسمان : (ا) المنطقة الشمالية وأمطارها تكفى للزراعة ان وجدت التربة ، (ب) برية يهودية وهى شديدة الجفاف .
صحراء تتخللهامناطق زراعية ضيقة جدا تعينها الامطار الكافية .	٩ - منطقة النقب أو الصحراء الجنوبية وهى هضبة قطعتها عوامل التعرية ويتخللها الوادى الاخدورى
	١٠- الكثبان الرملية الساحلية .

وانه من الطريف حقا أن ايقارن القارى هذه النقطة بخارطة الممتلكات اليهودية فى فلسطين (شكل ٤) ليعرف الى أى حد كان بيع أو بعبارة أصح تسليم الاراضى الى اليهود[1] يجرى وفق خطة محكمة مرسومة قائمة على دراسة طبيعة هذه الاراضى ومعرفة قابليتها وقوتها الانتاجية .

استغلال الارض وأهم الغلات الزراعية :

يبين الجدول الآتى (رقم ٣) جملة مساحة الأراضى الفلسطينية وطريقة الاستفادة منها وقد أخذته عن مجلة جمعية الشرق الأوسط العدد الاول الصادر فى ديسمبر سنة ١٩٤٦ صحيفة ٧٣ :

---

(١) ان مجال هذا البحث لا يسمح لى بايراد الأدلة التى بنيت عليها اتهام الحكومة المنتدبة بتسليم الأراضى العربية الى اليهود ويستطيع كل من يريد أن يقف على تفصيلات الخطة الملتوية التى سارت عليها حكومة فلسطين فى ذلك أن يراجع الفصل الخاص « بسياسة الأراضى » فى كتاب « فلسطين » ص ١٢٥ - ١٤٢ لمؤلفه التدير الدكتور م . ف . ابكاريوس ، فقد أورد من الأدلة الرسمية ما يثبت تآمر الحكومة البريطانية مع اليهود على اجلاء السكان الشرعيين عن أراضيهم وتسليمها للغاصبين .

جملة المساحة الأرضية فى فلسطين	٢٦	مليون	دونم
تشغل الصحراوات المناخية	١١	»	»
فتكون المساحة القابلة للزراعة	١٥	»	»
يستغل منها استغلالا فعليا فى الزراعة والاغراض المدنية .	٩	»	»
أراضى قابلة للزراعة وغير مستغلة فى الوقت الحاضر :	٦	»	»
غابات وأحراش طبيعية ومزروعة	٢٠٠ر٠٠٠		»
غابات وأحراش مهملة غير مستغلة	١ر٣٠٠ر٠٠٠		»
غابات وأراضى تحت ادارة الحكومة	٧٠٠ر٠٠٠		»

ومن هذا الجدول يتضح لنا ان نسبة الاراضى المنزرعة فى فلسطين لا تعدو ثلث مساحتها يقع القسم الاكبر منها فى منطقة التلال والنقب وهى التى تعتمد على الامطار والتى تختلف قوة انتاجها من سنة الى أخرى تبعا لكمية الامطار الساقطة . أما المناطق السهلية الساحلية والداخليه ذات التربة الجيدة والموارد المائية المنتظمة فلا تتجاوز مساحتها ثلاثة ملايين دونم أو ٨٢٠ر٠٠٠ فدان وفى هذه ينزل غالبية سكان البلاد وتقوم أهم وأكبر المدن ومراكز الاستقرار (شكل ١)

وتنقسم الزراعة فى فلسطين الى ثلاث مجموعات كبرى تختلف الواحدة منها عن الاخرى اختلافا كبيرا من حيث انتاجها وطريقتها ودورتها وتسويقها .

أولا : الزراعة الوطنية وهى التى يمارسها فلاحو العرب وتتبع فيها للاسف الطرق العتيقة ، فالمحراث الخشبى والمنجل والعمل اليدوى هى عدتها

وهي وان كانت قليلة الكثافة الان انتاجها صغير . وتتبع فيها أما الدورة الثنائية فتزرع الارض حنطة أو شعيرا على أمطار الشتاء ثم تترك في الشتاء التالي بورا بعد حرثها مرات متعددة لتحتفظ بالامطار الشتوية تزرع بعد ذلك زراعة صيفية أذرة أو سمسما ، أو الدورة الثلاثية وهذه تكون عادة في المناطق شبه الصحراوية حيث لا تكفي الامطار لزراعات متعاقبة ويجب أن تتخللها سنة تترك فيها الارض بورا وفي هذه المناطق تمتنع



شكل رقم (٨)
كثافة السكان في فلسطين

الزراعات الصيفية ، ويختلف مقدار الناتج من سنة الى أخرى تبعا لكمية الامطار زيادة ونقصا . ويقوم المزارعون هنا بتربية بعض الماشية والدجاج وبزراعة بعض الخضروات وأشجار الزيتون أي أنهم يكونون مجتمعات ذات كفاية اقتصادية الى حدما ; وأكثر ما يمارس هذا النوع من الزراعة في المناطق الجبلية حيث تتعرض السفوح

المنحدرة الى انجراف التربة . ومع اقتناع العرب بفائدة غرس الأشجار وعمل المدرجات كوسيلة لدرء هذا الخطر فانهم عاجزون عن تنفيذه بسبب ضيق المساحات القابلة للزراعة والرعي ولعدم وجود روءس الأموال التي يمكن أن يستعينوا بها على عملية التدريج . ومع ذلك فمن الممكن الاكثار من أشجار الفاكهة النفضية التي تجود هنا وان كانت شجرتا الزيتون والتين منتشرتين انتشارا كبيرا ويختص فلاحو العرب بزراعة الشجرة الاولى منذ أقدم الأزمنة وهي أكثر الاشجار انتشارا في فلسطين .

ثانيا : زراعة الثمار الحمضية وهي بوضعها الحالي حديثة جدا في فلسطين بدأت ، بعد الحرب العظمى الأولى على أساس علمي معتمدة على الطرق الآلية وروءس الاموال الكبيرة . وتتركز في المناطق ذات التربة الخفيفة ولهذا تكثر في القسم الأوسط من السهل الساحلي (شكل ٩) وقد زادت المساحة المنزرعة زيادة كبيرة جدا في السنوات التي تلت الحرب الاولى فمن ٨٠٠٠ فدان سنة ١٩٢٣ الى ٧٦٠٠٠ فدان سنة ١٩٣٩ وربما كان هذا هو الحد الأقصى لهذه الزراعة مستقبلا كما سنرى عند الكلام على القيمة الاقتصادية لهذه الغلة . وهذه الزراعة موزعة بالتساوي تقريبا بين العرب واليهود ، والغرض منها هو في الدرجة الأولى التصدير الى الاقطار الخارجية وخاصة الى انكلترا التي تستورد ٧٠ ٪ من البرتقال الفلسطيني .

ثالثا : الزراعة الكثيفة أو الزراعة المشتركة : وهي مظهر حديث في اقتصاديات فلسطين تعتمد في الدرجة الأولى على نظام الري وعلى ظهور المدن وسكان الحضر لأنها تتخصص في زراعة الخضروات وانتاج مستخرجات الألبان وتربية الدواجن مع بعض الفاكهة وقليل من الحبوب أي ان الغرض منها هو سد حاجة سكان المدن اليومية . وتحتاج ممارستها

الى أموال كبيرة للقيام بمشروعات الرى وشراء الآلات والبـذور والاسمدة والابقـار المولدة وللقيام بعمليات التسويق المنتظمة ولهذا قام بها اليهود وخاصة فى مزارعهم التعاونية . وقد أخذ العرب الان يدخلون هذا المدمار وانما بدرجة صغيرة وان كانت المنافسة العربية فى سوق الالبان والزبد والبيض قوية . ويعنى اليهود بهذا النوع من الزراعة لأنها جزء متمم لنشاطهم الصناعى وقد استفادت البلاد منها جملة فى زيادة قوتها



شكل رقم (٩)
توزيع الثمار الحمضية فى فلسطين

الانتاجية ولكن على حساب انتاج الحبوب الغذائية حتى أصبحت فلسطين لا تنتج كفايتها منها وتضطر الى استيراد جزء كبير من القمح ودقيقها كل سنه .

الغلات الزراعية وقيمتها الاقتصادية : [١]

الحبوب : ويقوم فلاحو العرب بزراعة القسم الاكبر منها ويستمدون منها ٥٢ ٪ من دخلهم على حين انها لا تكون الا ١١ ٪ من دخل فلاحي اليهود [٢] وتقدر قيمة الحبوب بثلاثين بالمائة من قيمة الانتاج الزراعي للبلاد كلها وتشمل عادة القمح والشعير والعدس والفول (الباقلاء) والسمسم .

وأهمها كلها القمح (الحنطه) ويزرع في كل مناطق فلسطين وخاصة في منطقة التلال والمرتفعات وتشغل مساحة ٣٠ ٪ من جملة المساحة المخصصة للزراعات الأخرى بما فيها أشجار الفاكهة . ويلي القمح في الأهمية الشعير ومع أنه يزرع في مساحة قدر مساحة القمح (٢ ١/٢ مليون دونم) الا ان غلته لا تزيد على ٦٠ ٪ منه والسبب في ذلك أن قسما كبيرا من المساحة الشعيرية (١٫٧٠٠٫٠٠٠ دونم) يزرع في منطقة بئر سبع والمراكز الجنوبية ذات الامطار القليلة غير المنتظمة فيتعرض انتاجها الى ذبذبة كبيرة (ص١٧) .

وزراعة الحبوب في فلسطين تعتمد الى حد كبير على العوامل المناخية وخاصة كميه المطر ولهذا يعظم التفاوت في الانتاج من سنة الى أخرى وقد يصل الفرق بين أعلى السنين وأقلها انتاجا أكثر من نصف المحصول الكلي وهذا الفرق يؤثر تأثيرا كبيرا في اقتصاديات البلاد لان الحبوب هي عماد غذاء الفلاحين وهم يكونون أكثر من نصف السكان كما أنها موردهم المالي الرئيسي . ولا تزال فلسطين بعيدة كل البعد عن درجة الاكتفاء الزراعي

---

(١) اعتمدت في هذا المبحث على كتاب « النظام الاقتصادي في فلسطين » لمؤلفه الاستاذ سعيد حماده رئيس قسم العلوم الاجتماعية في جامعة بيروت وهو بحث ضاف عن الحالة الاقتصادية في هذه البلاد .

2 - Dr. A. A. Keen : The Agricultural Development of the Middle East : P. 27

فى الحبوب وتستكمل حاجتها باستيراد كميات كبيرة من الحنطة والدقيق ففى سنه ١٩٣٧ وهى من أوفر السنين انتاجا كانت جملة محصول الحنطة ١٢٧٠٠٠ طن واضطرت البلاد الى استيراد (٧٣٫٠٠٠ طن) ، وفى سنه ١٩٣٣ بلغ الناتج ٤٤٫٠٠٠ طن فقط فاستوردت ٩٦٫٠٠٠ طن أو ما يعادل حوالى ٧٠ ٪ من استهلاكها فى تلك السنة .

أما الشعير فتنتج فلسطين منه كفايتها فى غالبية السنين اللهم الا اذا كانت الامطار دون المعدل ففى هذه الحال تستورد منه كميات قليلة كما حدث فيما بين سنه ١٩٣١ ـ سنه ١٩٣٦ حينما اضطرت الى استيراد ما يقرب من سنة عشر الف طن كل عام أما اذا زادت عن المعدل كما كان الحال فيما بين سنة ١٩٢٦ ـ ١٩٣٠ فيفيض قدر للتصدير قدر اذ ذاك بسبعة آلاف طن سنويا

الثمار الحمضية : وهى أهم ركن فى الانتاج الزراعى فى الوقت الحاضر . تبلغ المساحة المزروعة ٧٦٫٠٠٠ فدان (٣٠٠٫٠٠٠ دونم) أو عشرة أمثال ما كانت عليه فى نهاية الحرب الاولى ومن هذه ٧٠ ٪ فى المناطق الوسطى والثلاثون الباقيه فى القسم الشمالى . وقد صحب هذا التوسع زيادة كبيرة فيما تصدره البلاد فصدرت من محصول سنه ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨ : ١١٫٤ مليون صندوق بلغت قيمتها أربعه ملايين ليرة فلسطينية من جملة الصادرات التى بلغت فى تلك السنة : ٥٫٨١٩٫٦٧٥ ليرة : وبذلك كانت فلسطين قبل الحرب الثانية ثالثة الدول المصدرة للبرتقال أى بعد اسبانيا وايطاليا .

غير أن التوسع فى هذه الزراعة محفوف بكثير من الاخطار وقد بدأت اثارها تظهر فى السنوات السابقة للحرب ومنشأ هذا .

أولا . زيادة الانتاج لأن المهاجرين الجدد من ذوى رءوس الاموال

أستهوتهم الارباح الكبيرة التي كان يجنيها أصحاب المزارع فاستثمروا أموالهم في هذه الزراعة وقد جاء أثمارها في فترة الكساد العالمي (سنة ١٩٣٠ وما بعدها) وفي نفس الفترة أخذت دول أوروبا الوسطى والشرقية تفرض رسوما عالية على الواردات الاجنبية وتصادف أيضا أن الدول المجاورة ومن بينها مصر توسعت في هذة الزراعة وفرضت الرسوم المانعة على البرتقال الفلسطيني . فتكدس الناتج في السوق المحلية وانخفضت أسعاره وزاد المشكلة تعقيدا أن كثيرا من المزارع الجديدة لم تكن قد أثمرت بعد فاضطر كثير من الزراع الى أقتلاع الاشجار وتحويل مزارع البرتقال الى أصناف أخرى .

ثانيا : قلة الاستهلاك المحلي وأعتماد البلاد أعتمادا كليا على السوق الاجنبية فبينما تستطيع أسبانيا أن تبيع ٢٥ ٪ من محصولها ، ايطاليا ٤٠ ٪ منه في سوقها المحلية نرى أن فلسطين ذات السكان القليلين لا تأمل أن تتخلص الا من ١٠ ٪ فقط من محصولها الكبير في داخل البلاد .

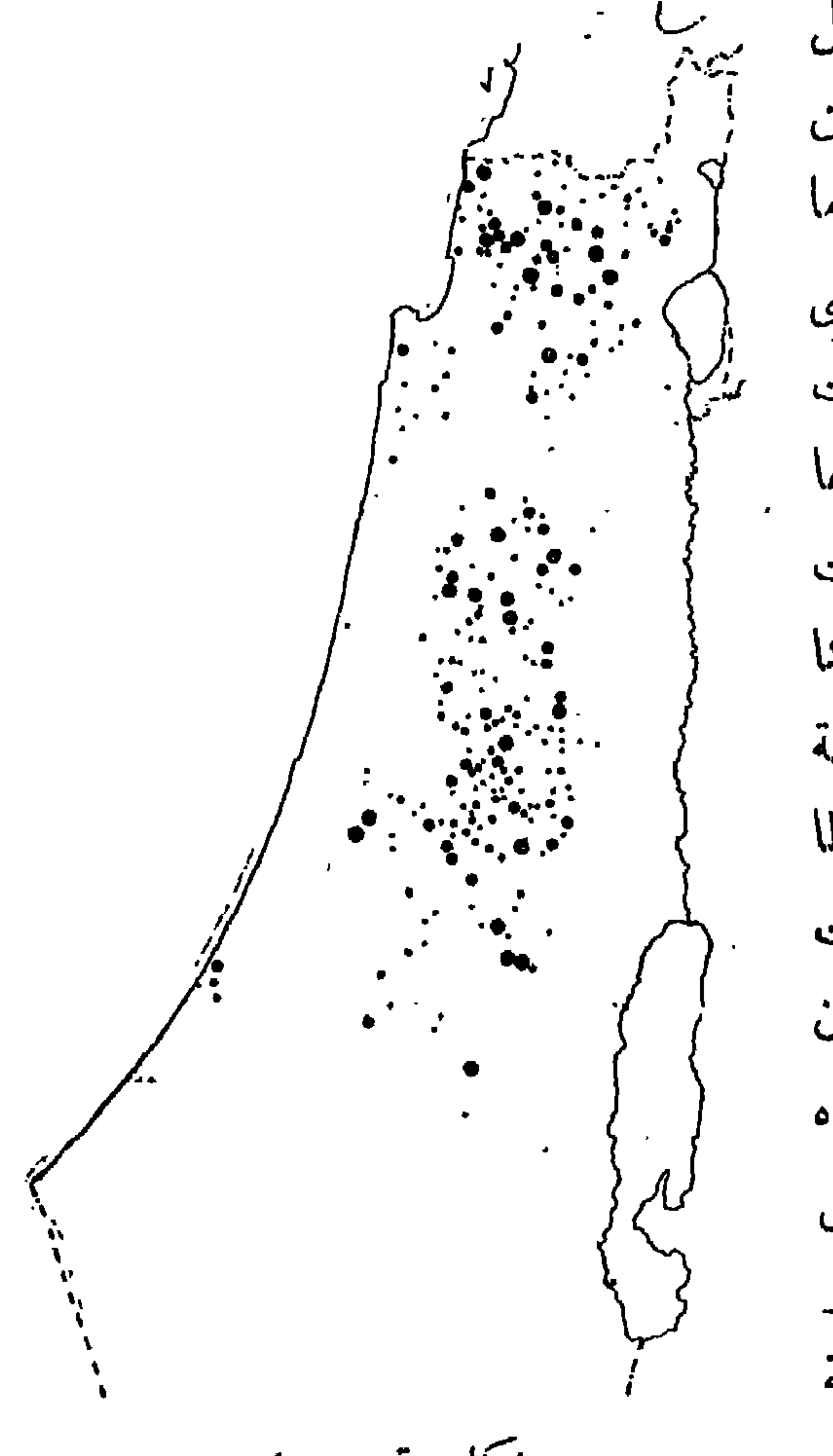
ثالثا . صعوبة المواصلات في الداخل والخارج فالخط الحديدى بين يافا وهي اكبر مركز لزراعة البرتقال وحيفا وهي ميناء التصدير لم يزوج الا في سنه ١٩٣٧ كما أن عدد السفن المعرجة على حيفا في العادة قليل لعدم وجود تجارة كبيرة فيها. ولما كان البرتقال ينضج كله في موسم واحد نرى المنتجين مضطرين الى عرض محصولهم دفعة واحدة فيرخص ثمنه .

رابعا : المنافسة القائمة بين الزراع من العرب واليهود فانها تحول دون تكوين جبهة متحدة في تسويق المحصول وتساعد على قيام المزاحمة غير المشروعة بينهما .

هذا وقد لجأ زراع البرتقال والثمار الحمضية كالليمون الهندى (السندى) Grape Fruit والليمون الحامض الى الحكومة لتعوضهم عن التعريفة الكمركية التي فرضتها الدول الاوربية والعربية على منتجاتها بفرض تعريفة مقابلة على بضائعها المستوردة الى فلسطين ولكن المادة ١٨ من عهد الانتداب حالت دون ذلك اذ لا يجوز فرض مكوس كمركية أضافية في بلاد واقعة تحت الانتداب على بضائع دولة تكون عضوا في عصبة الامم. كذلك فشلت محاولاتهم فى مطالبة الحكومه البريطانية بمنح البرتقال الفلسطيني أفضلية تجارية فى أسواق أنكلترا الى يعتمد عليها كل الاعتماد في أستيعاب القسم الاكبر من محصولها ولكنها فشلت أيضا فى ذلك وكل ما قدمته لهم الحكومة من مساعدات كان مجرد الايعاز الى البنوك والبيوت المالية بتقديم السلف اللازمة لدرء الخطر الذى كان يهددهم عند قيام الحرب الثانية كما قدمت لهم المساعدات الفنية فعنيت بمحاربة الافات الزراعية ونظمت التعبئة وساعدت فى الاعلان عن كل من البرتقال والليمون الهندى فى الاسواق الاجنبية ويمكن أن تقول فى النهاية ان زراعة الثمار الحمضية فى فلسطين قد بلغت درجة التضخم الاقتصادى وأنها أخذت فى النقص اذ أصبحت من الصناعات غير المربحه.

<u>الزيتون</u> : شكل (١٠) أشتهرت فلسطين منذ أقدم العصور بزراعة الزيتون. والتربة الجيرية صالحة جدا لهذه الزراعة كما أن طول عمر الشجرة وعدم تأثرها بأختلاف كمية المطر وأنتظام أنتاجها كلها عوامل جعلتها ملائمة جدا للبيئة الفلسطينية وتقدر المساحة المنزرعة زيتونا بضعف مساحة الاثمار الحمضية وأن كان أنتاجها دون أنتاج البرتقال فى قيمته الاقتصادية (٣ : ٤) ، ويقدر معدل أنتاج الزيتون بحوالى خمسة الآف طن سنويا وكان يصنع معظمه

صابونا ويصدر من معامل نابلس بمقادير كبيرة ولكن منذ أن فرضت مصر رسوما عالية على الصابون الاجنبي حماية لمنتجاتها انخفضت الكمية التي تستوردها انخفاضا كبيرا حتى بلغت في سنة ١٩٣٧ : ٧٩٢ طنا فقط بعد أن كانت في سنة ١٩٢٧ : ٥٥١٢ طن . ولما كانت فلسطين قد توسعت مؤخرا في زراعة الزيتون ومن المنتظر أن تثمر هذه الاشجار في المستقبل القريب فانه يجدر بالحكومة الفلسطينية الوطنية أن تعمل على ايجاد أسواق جديدة غير مصر لتصريف الزيت والصابون المصنوع منه اليها .



شكل رقم (١٠)
انتاج زيت الزيتون في فلسطين

ويمكن اعتبار زراعة الزيتون عربية بحتة . . . . ١٤٨ فدان للعرب والفان فقط لليهود — ويبدو أن هذا هو السبب الذي من أجله تركتها الحكومة المنتدبة في زوايا نسيانها فالزراعة لا تزال أولية والشجرة تثمر سنة وتجدب

أخرى مع انها فى كاليفورنيا وغيرها من المزارع الحديثة تنتج سنويا، والثمار تتعرض لذبابة الفاكهة التى تسبب ضررا بليغا لكمية الزيت ونوعه، كل ذلك والحكومة لا تحرك ساكنا وكل ماقام به قسم البساتين التابع للادارة الزراعية هو استيراد بعض الاصناف من ايطاليا وبلاد اليونان وسوريا وجنوب أفريقية وعرض خمسة الآف شجيرة كل سنة على الزارعين . أما التحسينات التى أدخلت على صناعة أستخراج الزيت فكانت نتيجة للمجهودات الفردية ومن اكبر العاملين فى هذه الناحية جماعة الآباء السالسيين فى قرية بيت جميا وغيرهم .

الكروم : تبلغ مساحتها حوالى الاربعين الف فدان أنتجت فى سنة ١٩٣٧ خمسة واربعين الف طن . والكروم على نوعين : نوع لا يحتاج الى السقى ويعتمد على ماء المطر وهذا أنتاجه قليل ، والنوع الثانى وهو ما يزرع فى سهل أسرائيل والجهات الشمالية ذات التربة الثقلية ويعتمد على الرى وأنتاجه فى العادة كبير يبلغ ثلاثة أمثال النوع الاول . ويستهلك المحصول كله محليا حيث يستخدم قسم كبير منه الآن فى صناعة النبيذ والمشروبات الكحولية .

التين : ، وهو أيضا من الثمار القديمة فى البلاد والتى يكاد يحتكر العرب زراعتها . ولهذا لم ينلها أى قسط من عناية الحكومة فظلت متأخرة وقيمتها التجارية قليلة حتى أن ما يجفف منه الآن لا يجد له سوقا خارج البلاد .

الموز : ويزرع كما ذكرنا فى غور الاردن وخاصة فيما حول أريحا وفى سهل بيسان حيث يساعد انخفاض الارض على رفع درجة الحرارة الى المعدل الملائم لنجاحه . وتزرع أيضا مساحات أخرى فى القسم

الجنوبي من السهل الساحلي وفي كلتا الحالين الري ضروري له . وقد بدأت فلسطين مؤخرا تصدر مقادير قليلة منه الى الاسواق الأجنبية .

البطيخ : وهو محصول صيفي مهم في فلسطين ويستهلك الجانب الأكبر منه محليا وكانت مصر أكبر سوق لهذه الغلة قبل سنة ١٩٣٠ أي قبل أن تتحرر من قيود المعاهدات التجارية وتفرض الضرائب الحامية لمنتجاتها الاهلية فكانت تستورد كمية تتراوح ما بين العشرين والسبعين ألف طن سنويا ولكن هذه التجارة انقطعت الآن وأخذت تتجه نحو سوريا .

هذا وقد أشرنا فيما سبق إلى صلاحية المناطق الشمالية والهضاب المرتفعة لزراعة الفاكهة النفضية ويقوم اليهود في مستعمراتهم بتجارب كثيرة في هذه الناحية وتقدر مساحة الاراضي المزروعة فاكهة - عدا الثمار الحمضية - في جميع أنحاء فلسطين بحوالى مائة ألف فدان ويبلغ انتاجها قدر انتاج الثمار الحمضية تقريبا ولكن القسم الاكبر منها يستهلك محليا ولا يصدر منها الا مقادير قليلة .

الزراعة المشتركة : وتشمل تربية الماشية من أجل ألبانها ومستخرجاتها، وتربية الدواجن من أجل لحومها وبيضها ثم زراعة الخضروات . وقد تقدمت هذه النواحي الثلاث تقدما كبيرا فيما بين الحربين للاسباب الآتية .

أولا : نمو المدن الفلسطينية وزيادة عدد سكانها ووجود طبقة من السكان تحتاج الى هذه المنتجات .

ثانيا : الاكثار من وسائل الري مما ساعد على ايجاد العلف الاخضر في فصل الصيف الشديد الجفاف وعلى التوسع في زراعة الخضروات التي تحتاج الى ري منتظم كثير .

ثالثا : ظهور حركة التصنيع فى فلسطين ، والصناعة والزراعة المشتركة حرفتان متلازمتان تكمل احداهما الاخرى .

(ا) تربية الحيوانات الحلوب : يعنى كل من العربى واليهودى بتربيتهما لغرضين مختلفين فالعربى يستعملها فى الجر والحرث وغيرهما من الاغراض الزراعية أما اليهودى الذى تمده وكالته والجمعيات اليهودية المختلفة بالمكائن والآلات الزراعية على اختلاف أنواعها فيربى هذه الحيوانات من أجل ألبانها ومستخرجاتها ويتخذ من ذلك حرفة قائمة بذاتها تدر عليه ربحها . ويبذل اليهود مجهودات كبيرة لزيادة وتحسين نوع الابقار الحلوب باستيراد أصناف ممتازة من هولاندة وشمال ألمانيا . ولكن يحول دون هذا التحسين قلة المراعى الخضراء على مدار السنة واضطرار المربين الى استيراد العلف اللازم لتغذيتها فى أشهر الصيف مما زاد كثيرا فى نفقات هذه الصناعة .

ويقدر ان فى فلسطين الآن ١٧٤٫٠٠٠ رأس من الماشية يستعمل ثلثاها فى الاعمال الزراعية والثلث الباقى للحليب واللحوم . ويملك العرب القسم الاكبر من هذه الماشية ولكن انتاجها قليل اذا قيس بانتاج أبقار اليهود فالبقرة العربية تنتج من (٦٠٠ – ٧٠٠) لتر من الحليب فى السنة أما عند اليهود فيتراوح انتاجها بين ٢٢٠٠ – ٥٤٠٠ لتر وهذه نتيجة طبيعية لاختلاف النوع من جهة ، ولان العرب يربون الابقار للاغراض الزراعية من جهة أخرى . اما اليهود فيقتصرون على حلبها معتمدين فى أعمالهم الزراعية على الآلات الميكانيكية الحديثة .

وعلى الرغم من المجهودات العظيمة التى بذلت فى هذا السبيل فان انتاج فلسطين من الالبان والزبد واللحوم لا يفى حاجتها وتستورد كل سنة مقدارا كبيرا من هذه الاصناف ففى سنة ١٩٣٧ قدر استهلاك البلاد

من الالبان ومستخرجاتها بما يبلغ ١٥٧ مليون لتر استوردت منها ٦٤ مليون لتر أى ٤٠,٨ ٪ منها وكان إنتاج المستعمرات اليهودية فى تلك السنة ٣٢ مليون لتر فقط أى ٢١ ٪ بينما أنتجت المزارع العربية ٦٠ مليون لتر أو ٣٨,٢ ٪ (١) ولما كانت فلسطين لا تستطيع فرض رسوم كمركية مانعة على البضائع المستوردة من البلاد التى كانت منضمة الى عصبة الأمم فقد زاحمت الزبدة والالبان المستوردة من سويسرا وهولاندة والدانمرك وغيرها من الاقطار ذات المراعي الطبيعية، مستخرجات الالبان الفلسطينية مزاحمة شديدة وأصبحت تباع فى فلسطين بأثمان أقل بكثير من أثمان الزبد المحلى .

(ب) تربية الطيور الداجنة :وهنا أيضاتختلف الطرق المتبعة فى المستعمرات اليهودية عن تلك التى يتبعها العرب فاليهود يعنون باستيراد السلالات الجيدة ويهجنونها مع الدجاج البلدى ويربونها تربية علمية معتمدين على الغذاء العلمى الصحيح ومستخدمين الآلات الكهربائية فى التفريخ ويبنون لها البيوت الصحية على حين ان العرب يتبعون الطرق الاولية فى هذه التربية معتمدين فى تغذيتها على فضلات المنزل والحقل أو ما تستطيع جمعه والتقاطه بنفسها فى العراء وهذه وان كانت تنتج طيورا أقل وزنا وبيضا أقل عددا الا ان نفقاتها قليلة جدا مما يجعل العرب ينافسون اليهود منافسة حادة فى الاسواق المحلية . و قد استغل اليهود اشتغالهم بهذه الحرفة كما استغلوا كل مجهود آخر قاموا به فى فلسطين لنشر دعايتهم والطنطنة لمشروعاتهم العمرانية الضخمة

---

(١) لقد ثبت من التجارب الطويلة ان اصلح السلالات البقرية فى فلسطين هى المولدة من اختلاط البقرة الهولندية مع البقرة السورية وتدر من ٧٧٠ - ١٠٠٠ جالون من الحليب فى السنة على حين ان البقرة الفلسطينية العربية لا تدر الا ١٠٠ - ١٥٠ جالونا .

وعمل المقارنات بين مشروعاتهم القائمة على العلم والتجربة وبين الطرق العربية الأولية البدائية ولكن النتائج والحقائق كانت كلها ضدهم . ففى سنة ١٩٣٧ استهلكت فلسطين ٢٠١ مليون بيضة حصلت عليها من المصادر الآتية : ٩٣ مليون أو ٤٦٫٢ ٪ استوردت من الخارج ، و٦٨٫٥ مليون أو ٣٤ ٪ من الجهات التى تستخدم الطرق الأولية ، و٣٩٫٥ مليون من المصادر اليهودية التى تستخدم الطرق الحديثة . ولم تكن تربية الطيور من أجل لحومها بأحسن حظا من هذا فقد استوردت فلسطين فى نفس السنة (١٩٣٧) و٣٥٫٨ ٪ من حاجيتها منها من الخارج وكانت سوريا أكبر عميل لفلسطين فى تصدير البيض والدجاج وذلك لتمتعها بحرية التجارة مع فلسطين حسب معاهدة عقدت بينهما فى سنة ١٩٢٩ .

وقد ظلت الحال على ما هى عليه أثناء الحرب الثانية فقد جاء فى تقرير لجنة التموين للشرق الاوسط عن سنة ١٩٤٤ (رقم ٣ : ١٩٤٥) أن جملة أنتاج فلسطين من البيض فى تلك السنة بلغ ٠٠٠ و ٠٠٠ و ١٢٠ بيضة جمع منها بعد استبعاد ما أحتفظ به المنتجون لاغراض التفريخ ٠٠٠ ، ٧٣٣ ، ٧١ بيضة قدم العرب منها ٠٠٠ و ٣٧٠ ، ٤٢ واليهود ٠٠٠ ، ٧٦٩ و ٢٨ .

وعلى الرغم من قلة مساهمة اليهود فى هذه الناحية من أقتصاديات البلاد كما يستدل على ذلك من الارقام المتقدمة فانهم لم يتورعوا عن الدعاية لانفسهم ومجهوداتهم العلمية وتجاربهم الفنية متخذين أنتاج الدجاجة الواحدة والبقرة الواحدة اساسا لدعايتهم وغافلين أو متغافلين عن كلفة البيضة واللتر من الحليب بل أنهم ذهبوا الى أبعد من ذلك وطالبوا الحكومة فى سنة ١٩٣٦ بفرض حماية على البيض والدجاج المستورد مع أعفاء الأغذية اللازمة لهذه الحرفة من كل مكس وضريبة واشترطوا أن تخصص الاموال المجموع

لمساعدة الجمعيات التعاونية التي تعني بتربية السلالات الممتازة من النوعين (أي اليهود دون العرب) وقد أستجابت الحكومة المنتدبة التي ما وجدت الا لخدمة اليهود وتثبيت الوطن القومي [1] الى بعض هذه المطالب فزادت رسوم البيض المستورد من أربعة شلنات الى عشر شلنات على الألف وجعلت رسم الدجاج المستورد ٢٥ ٪ من قيمتها وخصصت مبلغا من المال يعطى على سبيل السلفة لأصحاب حقول الدواجن الحديثة (اليهود بمعنى آخر) ! ! [2] ومع أن العرب اثيبوا رغم أنوفهم في هذه الحركة الا أنه أسيء اليهم من جهة أخرى ذلك أن ارتفاع ثمن البيض جعلهم يفضلون بيعه على أكله ففقدوا عنصرا مهما من غذائهم الضئيل .

زراعة الخضروات : تقدمت هذه الزراعة تقدما كبيرا في السنوات الأخيرة لان حفر الآبار في كثير من المناطق ساعد على أيجاد مورد ثابت من مياه الري الضروري لنجاح هـــذه الزراعة كما أن زيادة عدد السكان وارتفاع مستوى معيشتهم زاد في مقدار المستهلك وهذا بدوره شجع المنتجين على التوسع والاكثار منها وخاصة فيما جاور المدن الكبرى. ويقدرون أن فلسطين تنتج الآن ٩٠ ٪ مما تحتاج اليه من الخضروات الطازجة أما الخضروات الجافه كالبطاطس والبصل والثوم وما اليها فلا تزال تستورد منها مقادير كبيرة فهي لا تنتج مثلا من البطاطس الا ٢٢ ٪ من حاجاتها

---

1 - The object of this department - Department of Agriculture - was in the words of the Peel Report « to pursue an active policy of agricultural development in the hope of facilitating the close settlement of the Jews upon the Land. » Cmd 5479 P. 266

2 - M. F. Abcarius : Palestine through the Fog of Propaganda : P. 155.

وتعانى تجارة الخضروات الطازجة فى فلسطين عقبتين : اولهما شدة مزاحمة المنتجات السورية واللبنانية ، وثانيتهما ازدحام الانتاج فى موسم قصير فيكثر المعروض ويباع بأثمان رخيصة لا تعود على المنتجين بالربح الذى يرجونه. وترسل سوريا ٩٥ ٪ من صادراتها من الخضروات الى فلسطين .

وفيما يلى جدول بأهم الغلات الزراعية فى فلسطين موزعة بين العرب واليهود والمساحة التى تزرعها كل مقدرة بالفدان (حوالى أربعة دونمات فلسطينية) وقيمة كل غلة من هذه الغلات بالجنيهات الفلسيطينية وهو يعادل الجنيه الانجليزى أو الدينار العراقى .

جدول — ٤ — مساحة وقيمة الغلات الزراعية الفلسطينية مقدرة بالالاف لسنة ١٩٤٤ — ٤٥

	العرب		اليهود		الجملة	
	المساحة	القيمة	المساحة	القيمة	المساحة	القيمة
الحبوب	١٠٣٨ فدان	٤٤٠٣ فدان	٥٤	٤٩٧	١٠٩٢	٤٩٠٠
الخضروات	٦٠	٥١١٣	١٠	١٧٤٦	٧٠	٦٨٥٩
النباتات العلفية	٩	١٧٥	٣٠	٩٥١	٣٩	١١٠٨
الفاكهة عدا الثمار الحمضية	٨٩	٣١٣٩	٩	١٣٨٠	٩٨	٤٥١٩
الزيتون	١٤٨	٣٣٢٠	٢	٥٣	١٥٠	٣٣٧٣
البطيخ	٣٠	٩٧٠	١٫٥	٨٤	٣١٫٥	١٠٥٤
الثمار الحمضية	٣٧	١٦٠٠	٣٨	٢٤٠٠	٧٥	٤٠٠٠

والخلاصة أن فلسطين لاتزال دون الاكتفاء الزراعى فى المواد الغذائية فهى تستورد ٣٥ ٪ . مما تحتاج اليه من كافة الغلات الزراعية عدا الثمار الحمضية . وأنه وان كان من الممكن زيادة الانتاج فى الشعير

والخضروات الا أنها ستظل معتمدة على الواردات الأجنبية من القمح ودقيقه وعلى الحيوانات ومنتجاتها . وعلى هـذا فدعوى اليهود ومن يناصرونهم بوجود مجال حيوى يسمح بفتح باب الهجرة الى هذه البلاد لا يرتكز على أى أساس علمى بل فيه خطر كبير لانه يقلل من مستوى معيشة السكان الحاليين وهو عند سوادهم وهم العرب دون المعدل بكثير خاصة وان الزيادة الطبيعية للسكان كما سنرى أعلى منها فى أى قطر آخر . أما مستوى المعيشة وان بدأ عند اليهود مرتفعا فهو ليس نتيجة للقوة الكسبية لهذه الفئة وانما هو نتيجة الاعانات المالية التى تنهال عليهم من يهود العالم قاطبة ومن المؤسسات اليهودية ، فقد قدر أن ما يدخل البلاد من هذه الأعانات لا يقل عن عشرة ملايين جنيه فى كل سنة .

مستقبل الزراعة فى فلسطين : لقد قام اليهود بدراسات وأبحاث مستفيضة فى أمكانيات البلاد الزراعية وشاركتهم فى ذلك اللجان المختلفة التى ألفتها الحكومة البريطانية فى فترات متعاقبة وقد خلصت هذه اللجان كلها الى حقيقة واحدة أجملناها فى العبارة التى أقتبسناها من تقرير اللجنة الملكية البريطانية فى نهاية الفصل الخاص بالمناخ وهى : —

« أن كل زيارة ملموسة فى القوة الانتاجية لاراضى فلسطين يجب أن تعتمد فى الدرجة الاولى على التوسع فى نظام الرى مع قيام الرقابة الحكومية المنتظمة على موارد المياه فى هذه البلاد »

وقد حذرنا القارىء من قبول الاراء المبالغ فيها التى يتقدم بها اليهود فى هذه الناحية وبينا العامل الخفى الذى يدفعهم الى هذة المبالغة وهو اقناع

العالم الخارجي بوجود مساحات واسعة فى فلسطين قابلة للاستصلاح يمكن أن تتسع لعدد كبير من مهاجريهم . والواقع أن فلسطين فقيرة جدا فى مواردها المائية وخاصة اذا قيست بجاراتها العربية فليس فيها سوى نهر واحد دائم الجريان وهو نهر الاردن ومستوى مائه كما ذكرنا دون مستوى سطح أرض واديه بكثير وجملة المياه الجارية فيه لا تزيد على ١٠./. من مياه نهر النيل ، وعلى ٣ ./. من مياه دجلة ، ومقدار ما يخص الفرد فى فلسطين من جملة المياه الساقطة عليها والجارية فوق سطحها لا يزيد على ... ١ متر مكعب يقابله . . . ٥ م³ للفرد فى مصر ، حوالى . . . ١٠ م³ للعراقى :

أما جملة المساحة الاروائية فى منطقة السهول فهى ... ١١٢ فدان منها ...٨٢ فدان فى السهل الساحلى والثلاثون الفا الباقية موزعة بين سهل أسرائيل ومرج ابن عامر وحوض الحولة ، وبعض جهات متفرقة فى وادى الاردن . ويعتمد الرى فى السهل الساحلى على الابار التى يصل عمق بعضها الى السبعين قدما والتى يخشى من امتدادها الى مستوى الماء الملح وفى هذا خطر كبير على الزراعات الحالية.وفى وادى الاردن الاعتماد كله على رفع الماء بواسطة المضخات ، أما فى منطقة التلال فمجال التوسع الزراعى على أساس زيادة المساحات الاروائية محدود جدا لا يتجاوز ١ ./. من جملة المساحة المنزرعة حاليا ولا يكون ذلك باستخدام مياه بعض العيون . بقيت منطقة بئر سبع أو اقليم النقب . وهنا الآراء متضاربة فبعض الكتاب من الانكليز أمثال E. C. Willatts يرون هذه المنطقة رغم وجود المساحات الكبيرة ذات التربة اللويسية الخصيبة بها مقضى عليها بالجدب والجفاف لتعذر الحصول على الماء فيها أو ايصاله اليها . أما الفئة الثانية وهى فئة اليهود فترى امكان ايصال المياه اليها وعلى رأس هؤلاء لورد ملك وهين

والأول مؤلف كتاب : « فلسطين أرض الميعاد » (سنة ١٩٤٤) والثانى مهندس اشترك مع سفدج فى عمل المواصفات للمشروع الخطير الذي نسب اليه وهو مشروع جرىء للغاية يرى واضعوه انه من الممكن الاستفادة منه ، علاوة على رى النقب ، فى توليد طاقة كهربائية يستعان بها فى الأغراض الصناعية وفى ضخ مياه الرى من الآبار فى السهول الساحلية ويجب قبل ان نذكر أهم الانتقادات التى وجهت الى هذا المشروع أن نبين مداه والاغراض التى يستهدفها واضعوه .

مشروع هيز : يتكون هذا المشروع من عدة مشروعات ثانوية لا يقل عددها عن عشرة : فهنـــاك أولا اقامة ســـد على مجرى نهر حسبانى فى لبنان لتوليد طاقة كهربائية يمكن أن يستفاد منها فى ادارة المضخات المستعملة فى رفع مياه آبار الرى فى السهل الساحلى . أما المشروع الثانى فهو تحويل المياه المنتهية الى والمكونة لمنابع نهر الاردن الى قناة تستخدم مياهها فى رى منطقة الحوله وسهل اسرائل والجليل الأدنى . وخوفا من جفاف بحيرة طبرية بعد تحويل المياه التى تغذيها فكروا فى مشروع ثالث وهو تحويل نصف تصرف نهر اليرموك الى هذه البحيرة أما النصف الآخر فيستخدم فى رى وادى الاردن فيما جنوبها . أما المحطة الكهربائية القائمة الان على الاردن فيما جنوب اتصاله باليرموك بقليل فيمكن استبدالها بأخرى تديرها قوة انحدار المياه من قناة تحفر من ساحل البحر الابيض عند مدينة حيفا الى الاردن عن طريق سهل اسرائيل و منطقة بيسان وتنتهى الى البحر الميت فتعوضه عن مياه الاردن الأعلى التى تحولت عنه واستخدمت فى أغراض الرى فى المناطق الشمالية . ولا يقف خيالهم عند هذا الحد بل أنهم يفكرون فى خزن مياه الاردن الأعلى الشتوية ـ عندما يكون الاعتماد على مياه الأمطار

فى سهل الياطوف الواقع فى تلال الجليل ، ومن هنا تنقل فى ترعة كثيرة الانثناء والالتواء لرى سهل اسرائيل والقسم الأوسط من السهل الساحلى فى فصل الصيف . وهناك مشروعات أخرى منها اقامة قناطر على الاردن الأوسط فى منطقة بيسان لرى القسم الجنوبى من واديه واقامة خزانات ومستودعات لجمع مياه السيول والأمطار حتى يمكن أن يغذوا بها الترعة الكبيرة التى يفكرون فى انشائها من لبنان عند أعالى نهر الليطانى الى النقب والحدود المصرية (شكل ١١) .

شكل رقم ١١

ويأمل هؤلاء الحالمون أن يتمكنوا بعد اتمام هذا المشروع من رى ٦٢٥٠٠٠ فدانا وان يولدوا ٦٦٠ مليون كيلوات من الكهرباء بدلا من الكمية الحالية وهى ٢٧٠ مليون فقط . وهذا الحلم ان دل على شىء فانما يدل على الاطماع اليهودية الخفية وهى بسط نفوذهم لا على فلسطين وحدها وانما على المملكة الأردنية الهاشمية ليتسلطوا على اليرموك وعلى لبنان الجنوبية ليتحكموا فى منابع الاردن ومياه الليطانى .

هذا هو المشروع الذى يأمل اليهود أن يحولوا به الصحراء الى جنة خضراء والذى بنوا عليه حججهم فى ضرورة فتح باب الهجرة على مصراعيه واتخذوا منه مادة لدعايتهم . ومن المؤسف أن نجد بعض المسيحيين فى الغرب يسيرون فى ركابهم ويتحدثون بلغتهم . ولنرجع الان الى أهم الانتقادات التى وجهت اليه من كتاب الغرب أنفسهم .

نقد المشروع :

١ ـ قدرت النفقات الأولية لهذا المشروع بخمسين مليون جنيه ومعنى هذا ان تكاليف رى الفدان الواحد سيبلغ ٨٠ جنيه وهو يعادل أربعين مرة قدر تكاليف رى الفدان الناجم عن مشروع خزان أسوان اومشروع البنجاب فى الهند . وللدلالة على ضخامة تكاليف هذا المشروع نورد رأى المهندس ايونيدس الذى قام بدراسة مائية هذا الاقليم يوم ان كان فى خدمة كل من الحكومتين العراقية والأردنية: « من السهل أن نتصور أنه مشروع ضخم لأن نفقاته ضخمة كبيرة وانه سوف يوفر كميات هائلة من المياه تكفى لرى مساحات كبيرة. والواقع أنه مشروع صغير اذا قورن بالمشروعات التى تمت فى أجزاء أخرى من العالم . فمن ذلك مثلا انى قمت قبل الحرب بوضع تصميم ترعة فى العراق تصرف من المياه ربع جميع مياه مشروع لوردملك وكانت نفقات تصريف المتر المكعب الواحد فى الثانية فيها حوالى ٦٠٠٠ جنيه على حين أن تكاليف مثل هذا القدر فى مشروع هيز ستبلغ ثلاثة أرباع المليون جنيه » . فهو اذن كغيره من المشروعات العمرانية التى قام بها اليهود فى فلسطين عملية غير اقتصادية

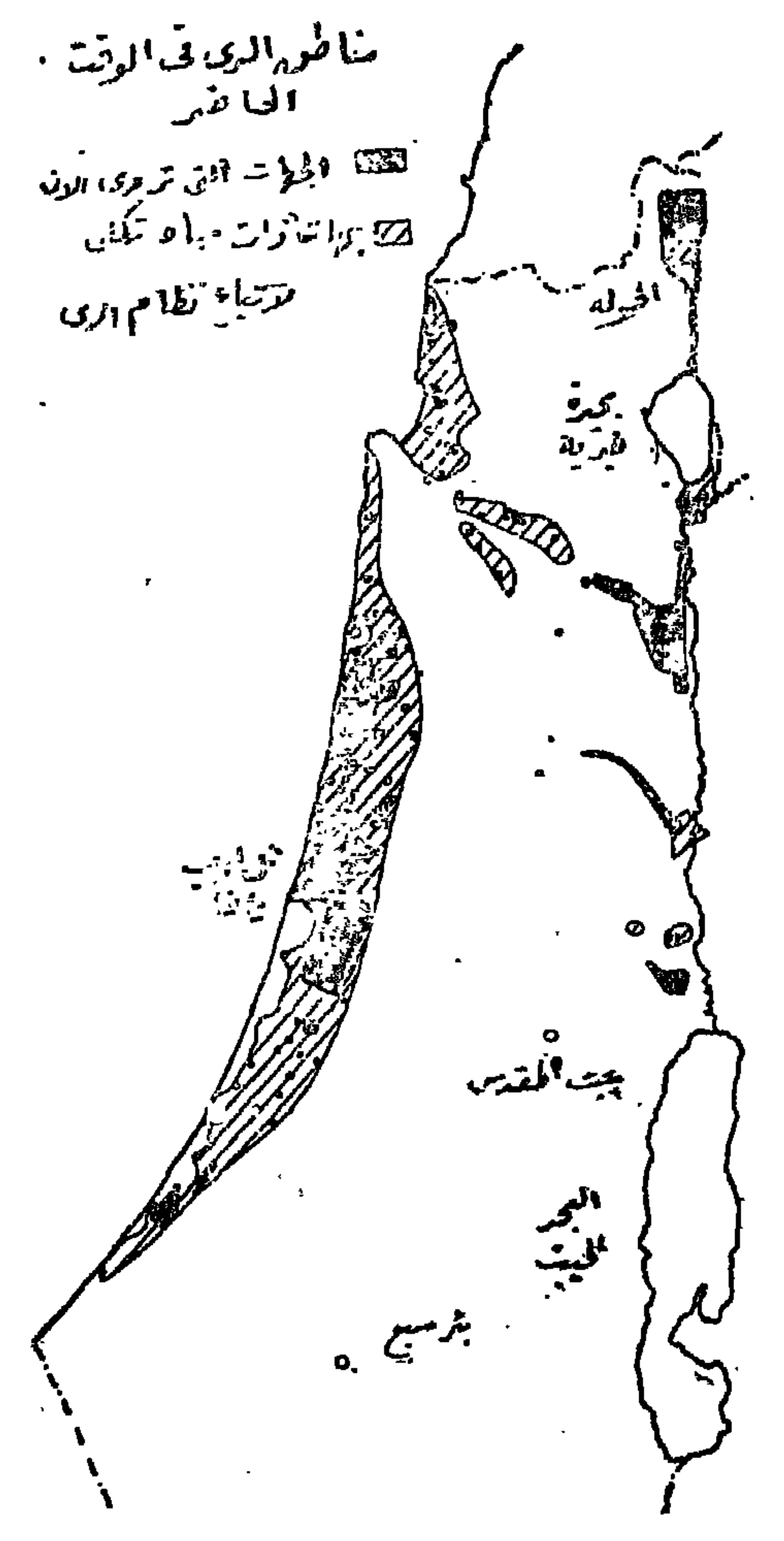
٢ ـ ان المشروع يقوم على أساس التعاون الودى بين مستعمرى فلسطين

من اليهود والدول العربية المجاورة . وحتى اذا سلمنا بان كل حب ضائع بين اليهود والعرب قد وجد وان الدماء الزكية التى سفكها أولئك الغاصبون قد ذهبت الى ربها مستغفرة راحمة، اذا فرضنا هذين المستحيلين فهل من المعقول ان تسمح المملكة الأردنية الهاشمية والجمهوريتان السورية واللبنانية لليهود أن يستغلوا مياهها وهى أشد ما تكون حاجة اليها فى احياء أراضيها وتوسيع زراعتها اللهم الا اذا كان بنو اسرائيل قد بيتوا النية لضم هذه البلاد وغيرها من الوطن العربى الى ملكهم المزعوم ؟ فالى هذا وغيره من المشروعات الصهيونية المسمومة نوجه أنظار العرب وساستهم ولا يغرنهم مال مهما عظم فى سبيل التسليم لهم بمثل هذه المشروعات أو الامتيازات .

٣ - أن المشروع يقدم على تحويل وتخزين ٠٠٠ , ٢٠٠ , ٢ متر مكعب من الماء وهو قدر يزيد على تصريف جميع الانهر والجداول الفلسطينية فى السنين العادية . أما فكرة تخزين مياه السيول والعواصف فمشكوك فى أمكانيتها كل الشك بسبب مسامية الصخور من جهة ولكثرة البخر من جهة أخرى فضلا عن أن امطار فلسطين عرضة للذبذبة الشديدة ففى السنوات الجافة لا ينزل من المطر الا ٦٠ ٪ من المعدل العام فالزراعة فى مثل هذه الحال تكون محفوفة بخطر كبير .

أن كل واحد من هذه الانتقادات الثلاثة يكفى وحده للدلالة على أستحالة تنفيذ هذا المشروع الذى أبتكرته العقلية الصهيونية لمجرد الدعاية وأن الحقيقة هى التى يقررها الكاتب E. C. Willatts فى مقاله المنشور فى مجلة الجمعية الجغرافية الملكية لشهر أبريل سنة ١٩٤٧ حيث يقول ص ١٧٠ :

« يجب أن يعرف الجميع أنه وأن كان الرى هو أهم الوسائل الأخرى



شكل ١٢

يبين مناطق الرى الحالية ونلاحظ أن أكثرها فى السهل الساحلى والمناطق الشمالية .

لزيادة الانتاج الزراعى فى هذه البلاد (فلسطين) فان الامال المعقود عليه محدودة للغاية وأننا عندما نأخذ بعين الاعتبار جميع الحقائق المتصلة بموضوع السكان فى الوقت الحاضر يبدو لنا واضحا أن التحسينات المستقبلة بالكاد تكفى مطالب السكان الحاليين وأبنائهم وعلى ذلك فاننا عندما ندرس القوة الاستيعابية الاقتصادية للبلاد التى كثر النقاش فيها لا يسعنا الا أن نسلم بالحقيقة الآتية وهى أن البلاد من الناحية الزراعية قد وصلت

الى درجة الاشباع بساكنيها ،

وقد يكون من المفيد أن نسجل رأى المهندس أيو نيدس أيضا فى هذا الموضوع وهو منشور فى نفس العدد من المجلة المذكورة بالصفحة ١٧٥ فهو يقول .

« من الطبيعى أن تتولى الناس الحيرة ، فهم يسمعون عن أمكانيات عدة لزيادة الموارد المائية فى فلسطين ، وهذا هو الواقع لأن هناك ابارا وقناطر وخزانات ومسيلات ومجموعة منتظمة حسنة لقنوات الرى وغيرها . وهنا يتولاهم العجب اذ كيف والحال كما ذكر يمكن القول بان مجال التحسين الاقتصادى عن طريق توسيع المناطق الزراعية محدود . أن الحال هناك تشبه تماما علبة المربة وقد وصلنا الى نهايتها فعلينا أن نجمع هنا وهناك فى جدرانها قبل أن نملأ ملعقة صغيرة بما تبقى فيهـا وأن مجرد الدعاية الواسعة لهـذه المشروعات والاحتمالات وما تعرضت له هذه من دراسات وأنتقادات مرة لهو الدليل القاطع على أن البلاد قد وصلت الى درجة الاشباع الزراعى وحتى مشروع كمشروع هيز لا يمكن أن يهيىء الاراضى اللازمة لمجرد الزيادة الطبيعية — الناشئة عن زيادة المواليد على لوفيات — للسكان المزارعين الحاليين ، وما من شخص يقدم على انفاق مثل هذه المبالغ الطائلة التى يتطلبها مشروع هيز لزيادة ذلك القدر المتواضع من ماء الرى ما لم يكن واثقا من أنه الملجأ الوحيد للخلاص من العواقب الوخيمة التى جرتها سياسة الهجرة اليهودية تلك السياسة التى طالمـا فصح الخبراء وكرروا النصح بان موارد البلاد الزراعية لا يمكن أن تحتملهـا » .

فهلا قرأ ترومان وغيره من أنصار الهجرة اليهودية غير المقيدة رأى

هذين العـــالمين الغربيين ، أم أن لهم أغراضا أخرى غير أيجاد المجال الاقتصادى لمشردى اليهود ؟ .

والخلاصة أن مجال التوسع الزراعى فى فلسطين محدود للغاية وأن البلاد قد وصلت الى نهاية أمكانياتها من حيث مساحة الاراضى القابلة للاستصلاح وأن كل زيادة فى مواردها الزراعية يجب أن يكون أساسها التحسين فى طرق الزراعـــة ونوعها . وللعرب مثل يحتذى به فيما قام به اليهود فى مستعمراتهم وحقولهم التعاونية : فقد عمدوا الى أختيار البذور الصالحة للاحوال المناخية وأكثروا من أستخدام التسميد وعنوا بزراعة أشجار الفاكهة وأنشأوا الجمعيات التعاونية للتسويق والارشاد وفتحوا المعاهد الزراعية واقتصدوا فى استعمال مياه الرى بانشاء القنوات والمجارى من الاسمنت وقللوا من الايدى العاملة فى الحقل باستخدام الآلات الميكانيكية مستفيدين من هذه الايدى فى أنشاء بعض الصناعات الاستهلاكية الى غير ذلك مما نراه ولا نستطيع أنكاره .

أنا لا أنكر أن فقر العرب وتأخر ثقافتهم الزراعية تحول بينهم وبين النهوض باراضيهم الى هذا المستوى ولكن كما أن يهود فلسطين لم يصلوا الى ما وصلوا اليه بمجهودهم الفردى كذلك فلتمد الدول العربية الى أخوانهم فى تلك البلاد المساعدة لتعينهم على منافسة اعدائهم والمتربصين بهم فى هذه الحرب الاقتصادية المستعرة والتى يخشى ان تقضى على البقية الباقية من الزراعة العربية فى فلسطين .

الفصل الثانى

الصناعة

رأينا فى الفصل السابق ان النجاح الذى أحرزه اليهود فى حقل الزراعة لم يكن بالقدر الذى يتكافىء مع الدعاية الواسعة التى أثاروها حول أنفسهم وخلصنا من بحثنا الى أن مستقبل هذه الحرفة لا يمكن أن يهيء المجـــال الاقتصادى الذى تتوخاه البلاد بسبب عدم كفاية الموارد المائية .

أما فى الحقل الصناعى فقد أثمر مجهود اليهود واستطاعوا أن ينشئوا صناعات جديدة نجح بعضها وفشل البعض الآخر ولا تزال فئة منها تـكافح وتجاهد . وتعتبر الصناعة فى فلسطين الآن عند كل من العرب واليهود من الموارد الرئيسية للثروة القومية ، وقد تضافرت عدة عوامل على نجاحها وتقدمها :

١ ـ الأيدى العاملة : فلسطين كما نعلم من البلاد القليلة السكان وغالبية سكانها وهم العرب لم يتوفر لهم المران الصناعى قبل الحرب الأولى بسبب تأخر الأحوال الاقتصادية ولأن الصناعات التى كانت قائمة اذ ذاك كانت كلها من النوع المنزلى تعتمد على الآلات اليدوية العتيقة ، ولـكن فيما بعد تلك الحرب دخل البلاد عنصر جديد من السكان وهم المهاجرون اليهود وهؤلاء ذوو خبرة صناعية كسبوها فى البلاد التى هاجروا منها وجاءوا فى أغلب الأحيان مزودين برءوس أموال كبيرة فاضافوا الى البلاد ثروة فنية لا يستهان بها .

٢ ـ وفيما بعد سنة ١٩٣٥ زاد عدد المهاجرين القادمين من ألمانيا ودول

وسط أوربا بسبب القيود التى فرضتها هذه الدول على رعاياها من اليهود. ولما كانت ألمانيا لا تسمح لهم بنقل أموالهم فقد استبدلوها بمكائن ومهمات صناعية كان لها أكبر الأثر فى انشاء المصانع الحديثة فى الوطن الجديد.

٣ ـ ظهور المدن الحديثة وزيادة عدد سكان المدن القديمة بسبب تركز الجانب الاكبر من هؤلاء المهاجرين الذين أعتادوا عيشة الحضر فى تلك المراكز ولما كان قسما كبيرا من هؤلاء المهاجرين يعيشون فى مستوى من الحياة أعلى من الذى كان معروفا فى البلاد قبل ذلك فقد ظهرت الحاجة الى كثير من البضائع الاستهلاكية التى يطلبها سكان هذه المدن والتى أخذ يحتاج اليها سكان البلاد الاصليين وقد تغيرت أذواقهم وتبدل نظام حياتهم الاجتماعية من حيث الملبس والمسكن فضلا عن أن السوق الفلسطينية كانت متعطشة الى الكثير من البضائع التى انقطعت عنها فى سنى الحرب (١٩١٤ - ١٩١٨).

٤ ـ تحسن الادارة الحكومية وشعور السكان بالطمأنينة ورفع الغبن عنهم فى جمع الضرائب والغاء بعضها كضريبة التبغ والويركو. كل هذا جعل بعض سكان البلاد من العرب يطمئن الى استثمار أمواله فى المشروعات الصناعية. وقد تبع هذه كلها نهضة زراعية تطلبت تحسينات كثيرة فى أعمال الرى ونهضة عمرانية تطلبت أيضا قيام صناعات متصلة بأعمال البناء والتعمير كعمل الاجر والقرميد والاسمنت والانابيب وما الى ذلك مما يقدر الان بثلث النشاط الصناعى فى فلسطين كلها. ومن العوامل الاخرى التى كان لها أثر كبير فى النهضة الصناعية التحسينات المستمرة فى طرق المواصلات كمد الخط الحديدى بين مصر وفلسطين وايصال القدس ويافا وتل أبيب بهذا الخط وانشاء ميناء يافا وتجهيزها بأحدث المنشئات الهندسية والعناية بمد الطرق وتعبيدها والاكثار من استخدام السيارات وكلها ضرورية فى جمع المواد الاولية

وتوزيع المواد المصنوعة على مراكز استهلاكها .

٥ - وفيما بعد سنة ١٩٣٥ توفر لفلسطين عامل من أهم العوامل في نهضتها الصناعية وذلك عندما تم ايصال خط أنابيب النفط العراقي الى ميناء حيفا فتأسس بها معمل لتكرير البترول (مصفاة) وأصبح الحصول على مادة الوقود ميسوراً للصناعات الموجودة والتي أسست فيما بعد وكان الاعتماد قبل ذلك على الفحم أو القليل من الطاقة الكهربائية المولدة من انحدار الاردن جنوب الدولة.

٦ - السياسة الحكومية : ارتطمت الصناعة اليهودية في أول نشأتها بعقبة كؤود ذلك أن المادة ١٨ من عهد الانتداب حرم على الحكومة البريطانية بصفتها الدولة المنتدبة في فلسطين فرض مكوس مانعة أو اقامة حواجز كمركية في وجه البضائع المستوردة من أية دولة أخرى تكون عضوة في عصبة الأمم وهو ما يعرف باسم سياسة الباب المفتوح ولكن المادة الثانية من صك الانتداب ألزمت الحكومة البريطانية بالعمل على تهيئة الظروف التي تمكن اليهود من تأسيس وطن قومي لهم في فلسطين ومن هذه مساعدتهم على انشاء مصانع وصناعات ، وقد تحايلت للوصول الى هذا الغرض الأخير فاعفت من المكس الكمركي المكائن والآلات والفحم والبذور الزيتية وغيرها مما وجده اليهود لازما لرواج صناعتهم كما أنها في الوقت نفسه تذرعت بضرورة تنمية دخل الحكومة فزادت من الضرائب المفروضة على بعض السلع المصنوعة ويستطيع القارىء أن يتبين مدى التواء هذه السياسة المتحزبة من تتبع الخطوات التي سارت عليها في بعض الصناعات :

ا - تأسست في سنة ١٩٢٠ في المملكة المتحدة شركة لعصر وتكرير الزيت وعمل الصابون في فلسطين، وما كادت تبدأ عملها حتى شعرت بمنافسه

الصناعة الاهلية العربية لها فطالبت من الحكومة مدها بالمساعدات المالية ولكن لما كانت شركة أجنبية لم تجد الحكومة سبيلا الى مساعدتها فما كان منها الا أن ضمت اليها بعض الهيئات اليهودية وسجلت نفسها كشركة فلسطينية ومذ ذلك التاريخ أخذت تنهال عليها المساعدات المباشرة وغير المباشرة فمن ذلك مثلا أنها شكت من أن زيت الزيتون المحلى حمضى لا يصلح لأغراضها الصناعية وهى محتاجة الى أستيراد بذرة القطن والفول السودانى وبذرة عباد الشمس والسمسم وما اليها وطالبت الحكومة باعفاء هذه كلها من الضرائب الكمركية فاجابتها الى ملتمسها فيما عدا السمسم خشية أن تبور زراعته فى البلاد وهو من الزراعات الصيفية الهامة : كذلك سمح لها باستيراد زيت الزيتون معفى من كل ضريبة رغم أن مساحة الزيتون كما ذكرنا تعادل ضعف مساحة الاشجار الحمضية وأنتاجه من أهم أركان الاقتصاد القومى، ولكنه زراعة عربية ولا ضير عليها اذا بارت أو أصابها الكساد وهذا ما حدث تماما فان الشركة بفضل أعفائها من الكمارك استطاعت أن تبيع زيتها بثمن أرخص مما يبيعه العرب الذين أصبحوا تحت رحمة الشركة ولم تكتف الحكومة بهذا بل انها أمعانا فى مساعدة هذه الشركة فرضت رسما أضافيا مقداره جنيهان على الزيوت المستوردة من الخارج عدا زيت الزيتون طبعا وبذلك أرتفعت أسعار الزيت وخاصة زيت بذرة القطن المستورد من مصر واصبح المستهلك العربى مضطرا لدفع هذه الزيادة فنقصت الواردات المصرية وقابلت مصر هذه المعاملة بمثلها فضاعفت أجور شحن بذرة القطن ثم فرضت رسوما مانعة على الصابون الفلسطينى (من ١٠ ش ٣ ـ الى ٧ ـ للطن الواحد) فتأثرت بذلك هذه التجارة تأثرا كبيرا ولكن للاسف وقع الحيف على الصناعة العربية لان معظم واردات

مصر كان من النوع المعروف باسم النابلسي الذى يصنع فى هذه المدينه ويقوم بصناعته أصحاب المصابن العربية وفقدت فلسطين بذلك السوق المصرى وكان من أكبر الاسواق بل أكبرها كلها لتصريف هذه الصناعة المحلية . وكانت نتيجة هذه المحاولات كلها أن أصبح الفلسطينيون وغالبيتهم من العرب يدفعون ثمنا لصابونهم الردىء أعلى مما كانوا يدفعون قديما فى الصابون النقى المصنوع من زيت الزيتون ولكن الصناعة اليهودية قامت وأنتعشت وجنى أصحابها الربح الموعود وهو المقصد الاساسى .

ب ـ تأسست فى سنة ١٩٢٣ شركة يهودية لعمل الاسمنت وقد أعفت الحكومة جميع الآلات اللازمة لها من الكمارك كما أعفت فيما بعد الفحم والبراميل وكافة أنواع وسائل التعبئة . ولكن هـذا كله لم يرض الشركة فطالبت بفرض ضريبة حامية وأجابتها الحكومة الى طلبها فزادت الضريبة المقررة على الاسمنت من أربعة شلنات الى أثنى عشر شلنا ثم الى ستة عشر شلنا للطن أو ما يعادل ٣٢ ./. من قيمته . وقد نمت هذه الشركة على أثر هذه المساعدات وبلغ أنتاجها فى سنة ١٩٣٩ . . . . ٣٠٠ طن وتمتاز هذه على غيرها من الشركات اليهودية بانها الوحيدة التى تستخدم عددا من العمال العرب فى قطع الاحجار وبعض الاعمال الاخرى الخارجية .

أن البحث يطول لو أننا حاولنا سرد تاريخ كل صناعة من الصناعات الفلسطينية ولكن فى كل واحدة من هذه الصناعات التى بدأها اليهود كانت الحكومة تسارع فى الاستجابة الى فرض الحماية مضحية بايرادات الدولة ومرهقة السكان بتلك الاسعار الباهظة التى أخذت المصانع تقررها : فخالفت بذلك جميع النواميس الاقتصادية لانها سخرت المجموع لخدمة فئة قليـ

من السكان بلغ عددها فى بعض الحالات شخصين أثنين فقط. وقد يكون
الطريف المؤلم أن نورد قصتهما ليعرف القارىء الى أى حد ذهب
الحكومة المنتدبة فى محاباه اليهود على حساب سواد السكان :

كان من بين المهاجرين الذين دخلوا البلاد فى منتصف سنة ١٩٣٤ عاما
حرفتهما صنع السيكار الطويل . وقد فتح كل منهما جانوتا صغيرا يمار
فيه حرفته وما أن بدأ اعمالهما حتى طالبا الحكومة بفرض ضريبة ما
على السيكار المستورد لحماية هذه الصناعة الجديدة الناشئة . وقد استجا
الحكومة لطلبهما فما كان منهما الاأن طالباها فى نهاية العام بمنحهما جزء
الضريبة المتحصلة على أوراق التبغ عند تصدير السيكار باعتبار أنها بصائع أ
تصديرها وكان جملة ما صدراه فيما بينهما ١٥ كيلو غراما لا أ
ولا أقل .

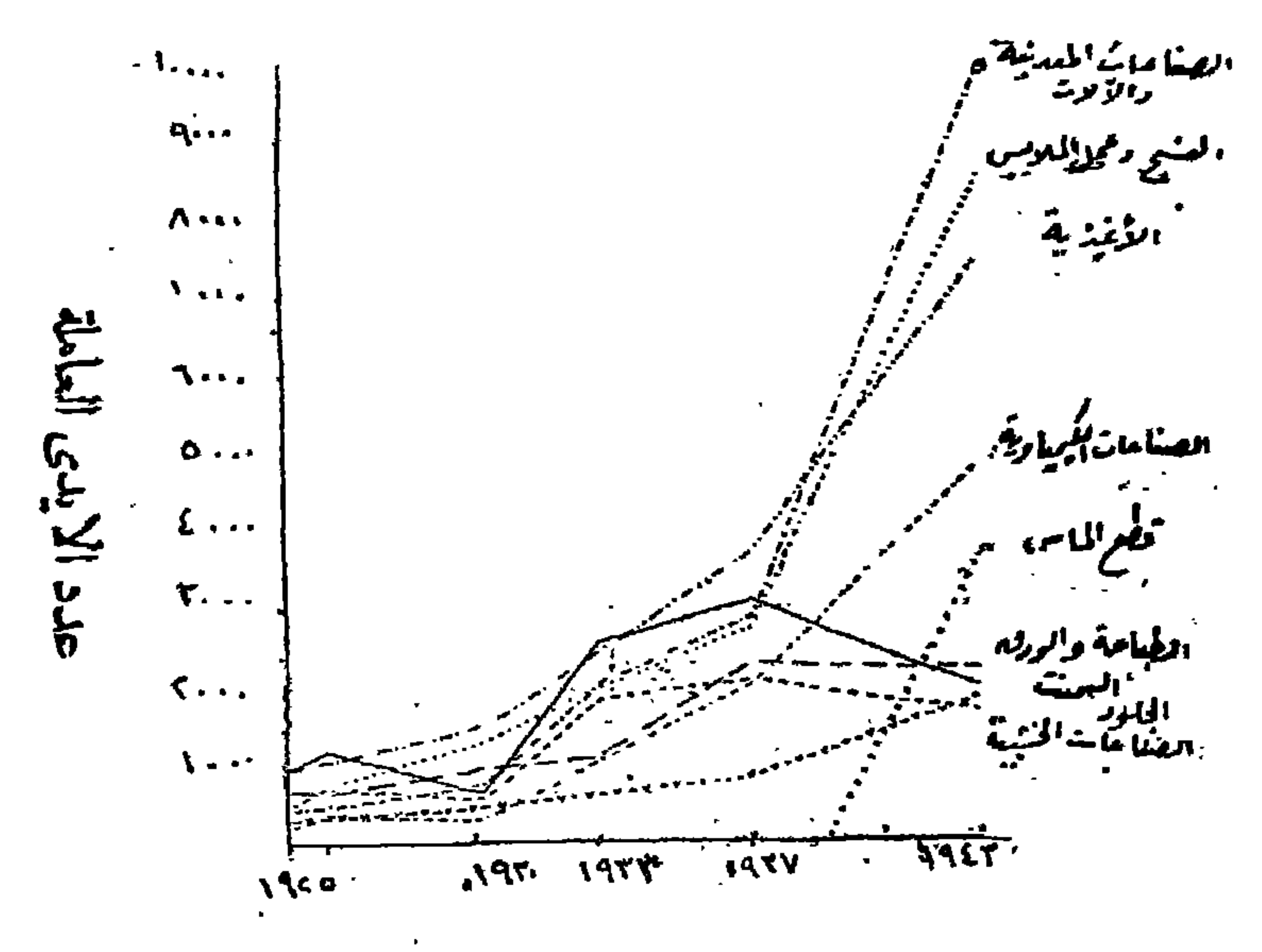
هذه هى السياسة التى صارت عليها الحكومة المنتدبة أزاء الصناء
اليهودية ولوانها نجحت فى زيادة صادرات البلاد لايجاد التوازن بينها و
وارداتها ، ذلك التوازن الذى كان ولا يزال سلبيا ، لكان لها بعض الع
ولكن الهدف الأول كان أيجاد العمل لاولئك الآلاف من المهاجرين
الذين سمح لهم بدخول بلادلا تكفى مواردها الطبيعية لاعاشتهم وأم
تتحمل خزانة الدولة ذلك العجز الكبير نتيجـــة أعفاء الآلات وا
الأولية ونتيجة فرض الضرائب العاليـة التى حالت دون أستيراد البض
الأجنبية وأن يرهق المستهلك الوطنى بالاسعار الباهظة التى فرضها أص
المصانع فليس له فى نظرها أى أعتبار ولا يقام له أدنى وزن .

أما سبب عجز الصناعات الفلسطينية عن منافسة الصناعات الأج

برجع الى عاملين :

١ - قلة سكان البلاد ، اذ لما كانت هذه الصناعات كلهـــا من النوع لاستهلاكي فـكل أعتمادها على درجة أستيعاب السوق المحلية لهـا وسكان سطين وهم حوالى المليون ونصف مليون غالبيتهم يعيشون فى مستوى من لحياة دون المتوسط ولايمكن أن يستهلكوا مقادير كبيرة من هذه السلع. هذا الى أن أثمانها كانت دائما فوق المعدل . ويرى المتأمل فى شكل ١٣ نهـا كانت حتى قيام الحرب الثانية تنمو بخطى بطيئة جدا ثم أخذت زدهر وتنشط فى خلالها وذلك لانقطاع الواردات الأجنبية ولوجود لجيوش المتحاربة فى الشرق الاوسط وشدة حاجة البلاد المجاورة الى تلك لمصنوعات بعد أن قطع الاتصال بينها وبين عملائها .

٢ - فقر البلاد فى المادة الاولية اللازمة لهذه الصناعات : فقـد رأينا



نمو الصناعة اليهودية فيما بين ١٩٢٥ - ١٩٤٤

عند الكلام على الانتاج الزراعى أن فلسطين فيما عدا الاثمار الحمضية وزيت الزيتون تعتمد الى درجة كبيرة على الواردات الاجنبية وحتى فى الزيت نفسه تضطر هذه الصناعة الى أستيراد مقادير كبيرة من البذور ومن بينها زيت الزيتون .

وليس الحال باحسن من ذلك كثيرا فى الثروة المعدنية .

الثروة المعدنية : المعادن الفلزية ذات القيمة الاقتصادية لا وجود لها فى فلسطين : كذلك الفحم لا وجود له . ولكن من جهة أخرى فلسطين تحتوى على ثروة فريدة فى نوعها اذ أن كمية البروم والبوتاس الذائبة فى مياه البحر الميت لا شبيه لها فى العالم . ويقدرون كمية الاملاح الموجودة فى مياه هذا البحر كالآتى [١] .

١ - كلوريد البوتاسيوم : ويستعمل فى صناعة الأسمدة : وكميته : ٢٠٠٠ مليون طن

٢ - بروميد المغنسيوم : ويستعمل فى التصوير وبعض الأدوية ويخلط مع البترول لتسهيل محركات السيارات كما يستعمل فى صنع القذائف : وكميته : ٩٨٠ مليون طن

٣ - كلوريد الصوديوم : أو ملح الطعام ومنه تصنع مادة الكلور المستعملة فى تطهير المياه ويستعمل أيضا فى تبيض (قصر) الأقمشة : وكميته : ١١٠٠٠ مليون طن

٤ - كلوريد المغنسيوم : وهو قليل الاستعمال نسبيا وان كان عنصرا مهما فى بعض الصناعات الكيماوية

---

(١) سعيد حماده « النظام الاقتصادى فى فلسطين » ، مطبوعات جامعة بيروت .

وفى تليين الألياف الصوفية : وكميته : ٢٢٠٠٠ مليون طن

٥- كلوريد الكالسيوم: وأهم استعماله كعامل مجفف: وكميته ٦٠٠٠ مليون طن

وقد دلت الابحاث والتجارب على أن نفقات استخراج هذه الاملاح قليلة جدا اذا قورنت بنفقاتها فى البلاد الاخرى [١]، ولكن يقلل من درجة استغلالها فى الوقت الحاضر صعوبة نقلها الى الاسواق الاجنبية، وينتظر أن يزداد الاقبال عليها كلما ضعفت التربة فى البلاد التى تمارس الزراعة الكثيفة أو كلما تحولت مناطق الزراعات الواسعة الى زراعات كثيفة [٢] وقد تأسست شركة يهودية لاستخراج هذه الاملاح تعرف باسم شركة البوتاس الفلسطينية مركزها فى النهاية الجنوبية للبحر الميت.

واهم المعادن المستثمرة فى الوقت الحاضر هى:

١ - البروم والبوتاسيوم: وقد زاد استخراجهما فى السنوات الاخيرة اذا كانت قيمة المصدر منهما فى سنة ١٩٣٢ : ٧٢٠٠٠ جنيه فزادت فى سنة ١٩٣٧ الى ٢٢٣٠٠٠ جنيه ولا بد أن تكون الكميات المستغلة والمصدرة قد زادت كثيرا فى سنى الحرب الثانية لاهمية المواد الكيمياوية فى الصناعات الحربية.

---

١ - تتلخص الطريقة المتبعة فى فلسطين فى عمل أحواض من الاسمنت ترفع اليها مياه البحر الميت بواسطة المضخات ثم تترك لتبخرها حرارة الشمس فتتخلف الاملاح التى يجمعونها ثم تتكرر العملية وهكذا.

٢ - يقـــدر مستر نوفوميسكى مدير شركة البوتاس الفلسطينية أن معدل استهلاك البوتاس فى ثمان دول زراعية قد زاد من ستة كيلو غرامات للهكتار الواحد من الاراضى الزراعية فى سنة ١٩١٣ الى خمسة وعشرين كيلو غراما فى سنة ١٩٢٨.

٢ ـ البترول في فلسطين منطقتان يؤمل وجود البترول فيهما وهما وادي الاردن والسهل الساحلي . وقد عثر على الكثير من رشح النفط والقير في الطرف الجنوبي للبحر الميت والاراضي المجاورة له ولكن جميع المحاولات لانتاج هذا المعدن بطريقة تجارية قد باءت بالفشل. كذلك تحتوي هذه المناطق على كميات من القير ولكنها قليلة . وتوجد بعض أنواع من الحجر الكلسي تحتوي على كائنات عضوية دقيقة فيما جاور النبي موسى وصفد يمكن بواسطة طرق خاصة تقطير البترول والغاز منها ثم تتخلف عنها كاربونات الكليسوم التي يمكن تحويلها الى كلس عادي وهو من المواد التي تحتاج اليها فلسطين في الوقت الحاضر بسبب التوسع في البناء والتعمير .

٣ ـ أحجار البناء : فلسطين غنية جدا بالحجر الكلسي المنتشر في جميع أنحاء البلاد وقد انتفعت منه كثيرا في أنشاء وتعمير الكثير من المدن الجديثة في الفترة بين الحربين. ومنه نوع متبلور وهو الرخام (المرمر) يوجد بالقرب من القدس وفي الجليل الاعلى . كما يوجد نوع أخر يصلح لصناعة الاسمنت التي قامت في حيفا . ومن بعض رمال فلسطين المنتشرة على طول الساحل وبالقرب من الجليل تصنع أنواع جيدة من الزجاج . وقد أنتشرت أيضا صناعة القرميد من الطفل .

٤ ـ الفوسفات : ويوجد في أماكن كثيرة وخاصة في المنحدرات المطلة على الساحل الغربي للبحر الميت وفي بئر عبيد شرقي بيت لحم ولكن أحسن أنواعه كلها ما يوجد في منطقة النبي موسى . ويقدرون كمية الفوسفات الموجودة في فلسطين بحوالى ٢٢٥ مليون طن وهو بالاضافة الى المواد

الكيمياوية المستخرجة من البحر الميت يكون ثروة تسميدية هائلة يمكن أن تعتمد عليها الزراعة الفلسطينية كما يمكن أن تصبح تجارة مهمة للصادرات ولكن لا تتوفر فى البلاد بعد صناعة السوبر فسفات وهى المادة التى يتحول اليها الفوسفات قبل ان يصبح صالحا لتسميد الاراضى.

وأهم الصناعات القائمة فى فلسطين هى :

أولا : المأكولات . وأهمها كلها طحن الغلال ولها مركزان احدهما فى حيفا وهو مؤسسة يهودية كبيرة والآخر في يافا وهو مؤسسة عربية ورأس مالها ثلث رأس مال الأولى ثم استخراج الزيت من الزيتون أو البذور الزيتية كالسمسم والفول السودانى (فستق العبيد) وعباد الشمس ، وبذرة القطن وغيرها . وعصر زيت الزيتون من الصناعات القديمة حتى لا تكاد تخلو مدينة من المدن الفلسطينية وقراها الكبرى من وجود معصرة أولية بها لعصر الزيتون . أما البذور الأخرى فيتم عصرها بالطرق الآلية الحديثة وأكبر مراكزها فى حيفا حيث توجد مصانع شيمن المشهورة التى اتسعت صناعتها حديثا وخاصة بعد إعفاء تلك البذور من الرسوم الكمركية .

ومن الصناعات الغذائية صناعة حفظ الثمار الحمضية والفاكهة وعمل المربات وعمل عصير البرتقال . وكان من المنتظر أن تكون من أهم الصناعات الفلسطينية وخاصة بعد ان رأينا العقبات التى تعترض تصدير البرتقال وغيره من الثمار الحمضية ، اذ أن مثل هذه الصناعة يمكن أن تستوعب الثمار غير الصالحة للتصدير أو التى يتعذر تصديرها ، وفعلا تأسست لهذا الغرض شركة يهودية فى أوائل سنة ١٩٣٠ وجريا على سياستها التى فصلناها فيما سبق أعفت الحكومة جميع الآلات والمكائن التى استوردتها هذه

الشركة كما فرضت ضريبة عالية على جميع المربات المستوردة وسمح لها بممارسة صناعتها داخل الميناء حتى تعفى من الضريبة المفروضة على السكر، ثم ذهبت الحكومة معها الى أبعد من ذلك فخفضت ضريبة الوارد على طن السكر من عشرة جنيهات الى خمسة، وعلى الرغم من هذا كله فقد عجزت الشركة عن اكتساب السوق المحلية وساءت حالتها المالية الى درجة اصبحت معها غير قادرة على مزاولة أعمالها فتقرر فيما قبيل الحرب الثانية تصفيتها وعين لادارتها وتصفيتها حارس قضائى. ولكن مجى الحرب وامتناع ورود الواردات الأجنبية من اسبانيا وأمريكا وجزائر الهند الغربية بعث فيها الحياة من جديد وهى الآن تمارس أعمالها بنشاط ولكن الى أى حد سوف تؤثر فيها المنافسة الأجنبية؟ هذا ما لا نعرفه وان كان الراجح انها كغيرها من الصناعات الفلسطينية سوف لا تستطيع الحياة من غير مؤازرة الحكومة لها على حساب المستهلك.

ومن الصناعات الغذائية الأخرى القائمة الآن عمل الشكولات والحلوى ولكنها صناعات صغيرة للغاية لا تكاد تتجاوز السوق المحلية. أما عمل المشروبات الروحية على اختلاف أنواعها فقد نشطت مؤخرا نشاطا كبيرا وعلى الأخص فى فترة الحرب. وهذه الصناعة قديمة فى فلسطين وكانت قاصرة على عمل العرق الى ان كانت خمسون سنة مضت حينما تأسست أول مستعمرة يهودية فى البــلاد فى ريشون لزيون وزرعوا مقادير كبيرة من الكرم ثم تخصصوا فى تقطير الكحول وعمل الخمور. ويقدر الانتاج بحوالى ٧٣٠٠٠ هكتولتر يصدر منها حوالى سبعة الآلف هكتولتر والباقى يستهلك محليا.

٢ – صناعة الاسمنت والاجر وغيرهما من مهمات البناء : وتكون هذه الصناعة جزء مهما فى اقتصاديات فلسطين نظرا لزيادة التعمير والبناء الذى تقوم به المستعمرات اليهودية والشركات الصناعية فى مختلف اقسام البلاد ، ويقدرون أن هـذه الصناعات تكون ثلث المجهود الصناعى فى فلسطين كلها وانها تستخدم ٤٣ ٪ من جملة الصناع اليهود ، ولهذا فكل انكماش فى حركة البناء معناه تعطل قسم كبير منهم عن العمل ، وقد حدث هذا فعلا فى ١٩٣٦ حينما اضطربت الصناعة الفلسطينية بسبب الثورة العربية فانكمشت الحركة البنائية الى نصف ما كانت عليه فى السنة السابقة . وقد امكن فلسطين الآن ان تستغنى الى حد كبير بما تنتجه من الاسمنت والبلاط والانابيب والقرميد عن الواردات الاجنبية .

٣ ـ صناعة النسيج : وهي قسمان : قديم ويشمل حياكة الملابس العربية وزركشتها وكلها من النوع المنزلى ولكنها تتضاءل سنة بعد أخرى بسبب تغير أذواق القوم وشيوع الازياء الغربية بينهم. أما الصناعات الحديثة وهى فى الاكثر يهودية فتشمل غزل القطن ونسجه وصبغه وحياكته وقد تأسست لهذا الغراض عدة شركات صغيرة ولكنها تستخدم فيما بينها أكبر عدد من العمال بلغوا فى سنى الحرب ١١٧٨٧ عاملا بعد أن كانوا فى سنة ١٩٣٩ ٣٨٧٣ فقط .وقد نشطت خلال هذه الفترة صناعة الملابس الداخلية الرجالية والنسائية نشاطا كبيرا ولكنها لا تزال دون حاجة البلاد وأن كانت بعض منتجاتها قد أخذت تظهر فى الاسواق المجاورة وقد قدرت واردات فلسطين من الخيوط والمنسوجات والملابس على أختلاف أنواعها قطنية وصوفية وحريرية بحوالى مليون ونصف مليون جنيه فى سنة ١٩٣٧ على حين أن صادراتها من هذه الاصناف لم تزد على مائة الف جنيه وفى هذا

الدليل على عظم أعتماد البلاد حتى في هذه الصناعات الضرورية على الاسواق الاجنبية . ومثل هذا تماما يمكن أن يقال عن الصناعات الجلدية فانه على الرغم من قيام المدابغ لاعداد الجلود فان الصناعات التي تحتاج الى جلود من النوع الراقي لا تزال تعتمد على ما يأتيها منها من الخارج وليس بين صادرات فلسطين من الادوات الجلدية الا بعض الحقائب اليدوية .

٤ ـ الصناعات الكيمياوية : وهي أيضا قسمان : قسم يتصل باستخراج المواد الكيمياوية وخاصة البوتاس والبروم والكبريت وهذه كلها تكون ٤٠ ٪ من الصادرات غير الزراعية وقسم يتصل بالصناعات القائمة على هذه المواد كعمل الثقاب واستخراج الزيوت العطرية وعمل بعض العقاقير الطبية ومواد الزينة النسائية وهذه تعتمد الى درجة كبيرة على المواد المستوردة من البلاد الاجنبية .

٥ ـ هذا وقد أتجهت الصناعة الفلسطينية مؤخرا الى عمل المواد التي يحتاج تحضيرها الى مهارة فنية كبيرة ومادة أولية قليلة كقطع الماس وصقله في تل أبيب . والماس الآن أهم ركن في الصادرات ، ثم تحضير الفراء وعمل الاسنان الصناعية والمستحضرات الكيمياوية وبعض الازياء[1]

وبين الجدول الآتي مركز أهم الصناعات الفلسطينية في عامي ١٩٣٩ ، ١٩٤٢ ودرجة توزيعها بين العرب واليهود على أساس عدد العمال المشتغلين بها من عنصري السكان :

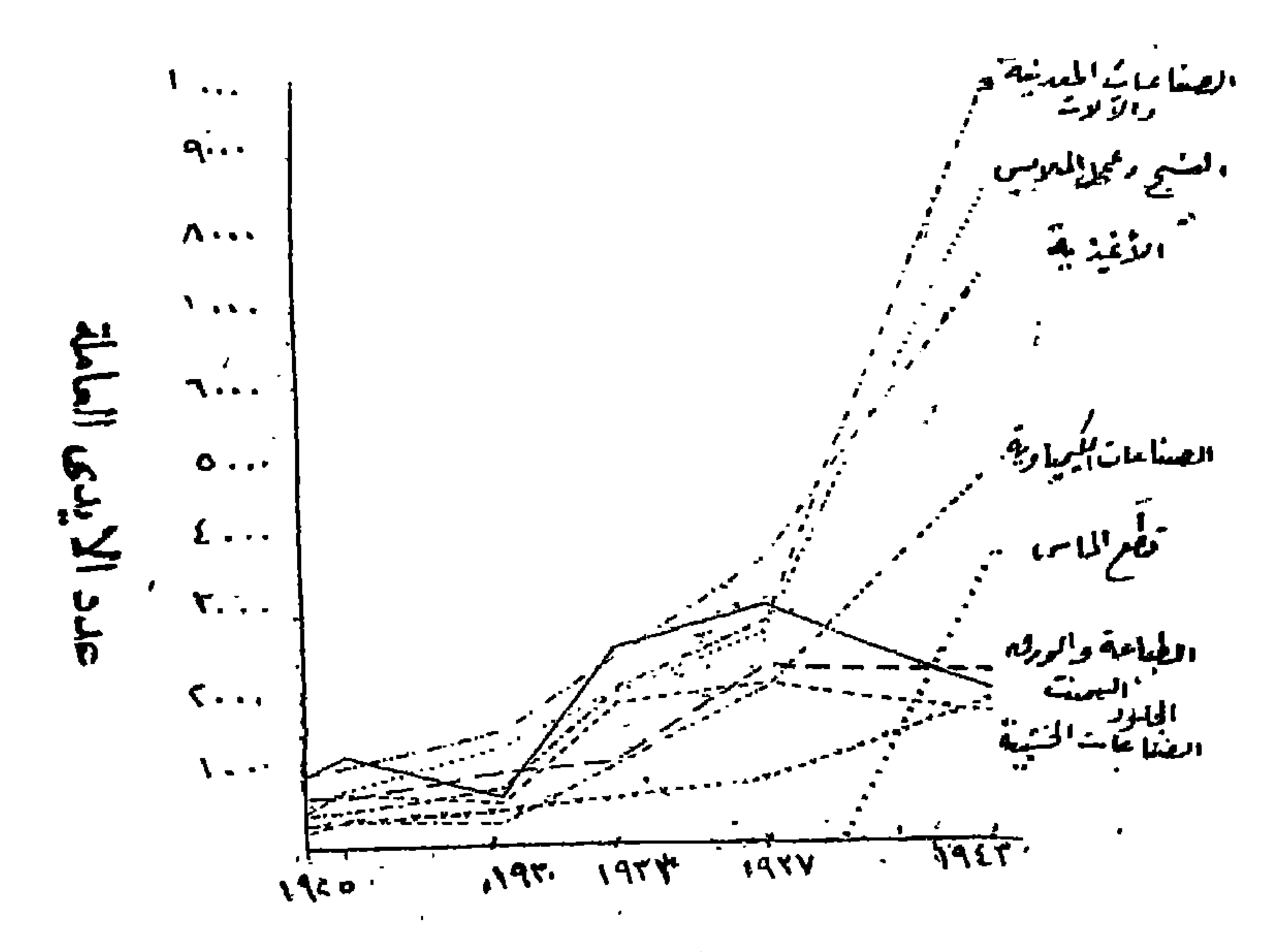
---

١ ـ طبيعي أن تستورد البلاد المواد الأولية اللازمة لهذه الصناعات وكلما فاتت حجم صغير ولكن قيمتها الحقيقية في المهارة والحذق اللازمين لصنعها واعدادها .

جـــدول — ٥ —

	العرب		اليهود		المجموع	
	١٩٣٩	١٩٤٢	١٩٣٩	١٩٤٢	١٩٣٩	١٩٤٢
الاغذية والمشروبات	١٠١٧	١٨٤١	٢٢٥١	٦٩٠٨	٤٣٣٨	٨٬٧٤٩
الزيوت الغذائية	٩٨	١٧٠	٤٦٣	٨٥٩	٥٦١	١٬٠٢٩
المواد الكيماوية بما فيها الصابون	٢٤٥	١٩١	٧٢٠	٢٢٢٠	٩٦٥	٢٬٤١١
الصناعات الخشبية وعمل الورق	٢٣٠	٨٧٩	١٥٦٠	٢٤٣٥	١٨٩٠	٣٬٣١٤
الجـــلود	٦٦	٢١٣	٩٤	٩٧٣	١٦٩	١٬١٨٦
المنسوجات والملابس	٨٣٥	٣٠٩٦	٣٠٣٨	٨٦٩١	٣٨٧٣	١١٬٧٨٧
أعمال البنـــاء	١٥٢	٢٦٩	١٠٧٢	٢٠٣٦	١٢٢٤	٢٬٣٠٥
المعـــادن	٣٨٦	١١٣٧	٢٤٧٤	٨١٠٧	٢٨٦٠	٩٬٢٤٤
المـــاس	—	—	١٩٧	٣٤٠٤	١٩٧	٣٬٤٠٤

أما الرسم البيانى الآتى فيبين تدرج الصناعات اليهودية فى النمو فى الفترة من ١٩٢٥ الى ١٩٤٤ وبمقارنة هذه الصناعات بعضها ببعض يلاحظ أن فئة منها قد خطت خطوات واسعة فى سنى الحرب كالصناعات المعدنية وعمل الالات والنسيج وعمل الملابس والصناعات الغذائيـة والكيمياوية ، وأن قطع الماس وصقله لم يكن لها شأن يذكر قبل سنة ١٩٣٩ على حين أن فئة أخرى قد ظلت ثابتة أو نمت نموا بطيئا جدا كالصناعات الجلديـة والخشبية، أو نمت نموا سريعا ثم أخذت فى الهبوط كاعمال البناء وقد يكون مرجع الهبوط فى هذه الصناعات الارتفاع العظيم فى أثمان المواد المعمارية خلال فترة الحرب واتمام بناء الكثير من المستعمرات اليهودية .



نمو الصناعة اليهودية فيما بين ١٩٢٥ - ١٩٤٤

وأهم ما يلاحظه الباحث على الصناعات اليهودية .

١ ـ أن اليهود يكونون العنصر الغالب فى الاعمال الصناعية جملة فحوالى ٧٥ أو ٨٠ ٪ من المشتغلين بالاعمال الصناعية من اليهود ومرجع هذا أن القسم الاكبر من المهاجرين الذين وفدوا على هذه البلاد فيما بعد سنة ١٩٢١ كانوا من المشتغلين بالاعمال الصناعية فى البلاد التى جاءوا منها وأن رءوس الأموال والالات التى تعتمد عليها الصناعة الحديثة كلها تقريبا يهودية أتى بها المهاجرون أو أرسلت اليهم من قبل الهيئات اليهودية التى تغذى الدعوة الصهيونية من الخارج ففيما بين سنة ١٩٢٢ و سنة ١٩٢٩ أستثمر اليهود فى شراء الاراضى واعمال البناء والصناعة والنقل ما لا يقل عن ثمانين مليون جنيه وما أستثمروه بعد ذلك لا بد أنه أعظم بكثير . فهناك أذن عشرة ملايين من الجنيهات تدخل فلسطين فى كل سنة لتنشيط الصناعات

اليهودية . فتقدم هذه الصناعات أو تأخذها مرهون بدرجة دخول هذه الاموال مما يجعل مركزها الاقتصادى غير ثابت .

٢ - أن الصناعات الفلسطينية فى جملتها تعتمد الى حد كبير على المواد الأولية المستوردة من الخارج وقد قدر أن فلسطين لا تنتج سوى ٤٠ ./. من المادة الاولية المستعملة فى صناعتها.

٣ - أنها تعتمد أعتمادا كليا على السوق المحلية فى استهلاك منتجاتها فوالى ٩٠ — ٩٥ ./. من الانتاج العام يستهلك فى داخلية البلاد وعلى ذلك فلا خطر منها على الصناعات الناشئة فى الاقطار العربية المجاورة كما أنه لا يرجى منها فى وضعها الحـــالى أن تغطى الفرق الكبير فى الميزان التجارى بين الواردات والصادرات وهو الغرض الأول من تنشيط الصناعات بكافة الوسائل والتشريعات .

٤ أن القوة الدافعة العظيمة التى تمتعت بها الصناعات الفلسطينية فى سنى الحرب لا يمكن أن تستمر طويلا اذا ما أستقرت الاحوال العالمية وعادت الدول الاوربية الى أحتلال أسواقها فى الشرق الاوسط خاصة وأن فلسطين تعتمد أعتمادا كبيرا على أستيراد المواد الاولية كما وأن عداءها لجاراتها العربية سوف يوصد هذه الاسواق فى وجه كل صناعة يهودية ويحول دون وصول النفط العراقى اليها وفى هذا أكبر ما يمـــكن أن تصاب به هذه الصناعة لان مجالها الاقتصادى هو الشرق الاوسط فاذا لم تجد فيه مصرفا لمنتجاتها أنهارت صناعتها خاصة وقد رأينا أن قيام هذه الصناعة كانت نتيجة عوامل غير طبيعية وتشريعات غير أقتصادية أثقلت

كاهل الشعب الفلسطينى »[1] فالوضع الحالى للصناعة اليهودية يمكن أجماله فيما جاء بتقرير اللجنة الامريكية الانكليزية وهو :

« يخيل لنا أن هذا التوسع فى اقتصاديات فلسطين القائم على مجرد العاطفة دون التروى فى موارد البلاد الطبيعية قد ينتهى بزيادة عظيمة فى الانتاج يختل معه توازن هذا البناء فينهار . ولا يسعنا ازاء هذا الا أن نعود الى الفكرة الرشيدة وهى ضرورة تنمية الموارد الأساسية بطريقة طبيعية منتظمة ـ يقصد بذلك الزراعة ـ فى جو يسوده التعاون السلمى » .

ولكن رغم هذا تتغلب العاطفة على أعضاء هذه اللجنة ويصدرون قرارهم بتقسيم البلاد الى قسمين غير متكافئين وهو قرار كما برهنا فى أكثر من مناسبة غير مطابق للتوازن الاقتصادية بل يتعارض مع ما نوصى به هذه اللجنة نفسها من ضرورة تنمية الموارد الطبيعية للبلاد فى جو يسود التعاون السلمى.

---

١ ـ والآن وقد كشفت الصهيونية الفلسطينية عن نواياها الحقيقية وناصبت العرب العداء المسلح فقد أوصدت فى وجهها أبواب التجارة والتبادل مع العرب وساءت حالتها الاقتصادية اساءة واجمع مراسلو الصحف والهاربون من معسكرات الاعتقال اليهودية على أن دولتهم المزعومة تحتضر اقتصاديا وهذا كله رغم المساعدات الخفية التى تهرب اليهم من غير مقابل .

الفصل الثالث

التجارة الخارجية

ان بلدا كفلسطين أبعد ما تكون عن الكفاية الاقتصادية وتعتمد الى درجة كبيرة على الواردات الأجنبية لا تستطيع أن نقف على درجة تقدمها الاقتصادى وعلاقاتها التجارية بالعالم الخارجى دون تحليل لتجارتها. ولهذا رأينا أن نختم هذا البحث فى موارد البلاد الاقتصادية بذكر شىء عن تجارتها الخارجية ونموها المضطرد فى الفترة بين الحربين الأولى والثانية. غاضين الطرف عن فترة الحرب الثانية بسبب التضخم العظيم الذى حدث فى أثمان السلع التجارية وبسبب تدفق التجارة فى مسالك غير تلك التى كانت تسلكها والتى سوف تعود اليها بعد استقرار الوضع الاقتصادى للعالم.

قدرت تجارة فلسطين الخارجية فى سنة ١٩١٣ بمليونين وثلاثة أرباع المليون من الجنيهات الانكليزية وكانت هذه التجارة مقسمة بالتساوى بين الصادرات والواردات، وفى سنة ١٩٣٧ بلغت هذه التجارة ٢١ ١/٤ مليون جنيه أى أنها زادت ثمانية أمثال ما كانت عليه اذ ذاك وفى هذا دليل على ما أحوزته فلسطين من تقدم فى الفترة التى تلت الحرب الاولى. ولكن التوازن بين الصادرات والواردات اختل اختلالا كبيرا فكانت الواردات ١٥٩٠٣٠٠٠ جنيه على حين أن الصادرات بلغت ٥٠٨٢٠٠٠ جنيه ويجدر بنا قبل أن نبحث فى أسباب ونتائج هذا التباين الكبير بين عنصرى التجارة الخارجية أن نشير الى أسباب نمو هذه التجارة فهناك :

١ ـ الزيادة الكبيرة فى عدد السكان (راجع الباب الثالث) وما تبعها من زيادة كبيرة فى الاستهلاك والانتاج.

٢ ـ ارتفاع مستوى معيشة السكان بسبب ما وفد على البلاد من المهاجرين اليهود وبسبب التغير فى أذواق السكان وطرق معيشتهم .

٣ ـ التحسن العظيم فى طرق المواصلات على أثر مد الخط الحديدى الى مصر وفتح الطريق الصحراوى الى العراق وانشاء ميناء حيفا ومد الطرق المعبدة الصالحة لسير السيارات فى داخلية البلاد وأخيرا ايصال خط أنابيب النفط العراقى الى حيفا .

٤ ـ الهجرة اليهودية وما رافقها من استيراد رءوس أموال كثيرة بلغت فيما بين سنة ١٩٢٢ ، سنة ١٩٢٩ حوالى الثمانين مليون جنيه بمعدل عشرة ملايين فى كل سنة وهذه جاءت كلها تقريبا على شكل سلع تجارية .

٥ ـ تدفق الاموال الاجنبية على فلسطين بسبب تأسيس الشركات الزراعية والصناعية الممولة فى الخارج أو المنشأة بأموال الاعانات التى قدمتها الجمعيات والمؤسسات الصهيونية التى تأسست فى البلاد الغربية لتنشيط الفكرة الصهيونية .

٦ ـ الاموال الطائلة التى أنفقتها الحكومة المنتدبة على جيوشها المحتلة للبلاد والتى قدمتها للادارة الحكومية لانشاء المواصلات والطرق الحديثة وكل ما تتطلبه ادارتها فى فلسطين .

واذا نحن حللنا تجارة سنة ١٩٢٧ نجد أن البضائع المستوردة يمكن تقسيمها الى ثلاث مجموعات كبرى :

اولا : البضائع اللازمة لاستثمار الثروة الطبيعية وتشمل أدوات البناء والآلات الصناعية والزراعية ، ووسائط النقل .

ثانيا : المواد الاولية اللازمة للصناعة وقد أشرنا اليهما سابقا .

ثالثا : مواد الاستهلاك المحلى وهذه إما غذائية أو مواد مصنوعة . ويكون

هذا القسم أهم ركن من أركان الواردات كلها . فقد بلغت قيمة المواد الغذائية المستوردة فى تلك السنة أربعة ملايين ليرة فلسطينية والمواد المصنوعة صنعا كاملا أو نصف مصنوعة عشرة ملايين ليرة (١) .

أما الصادرات فأهمها كلها الثمار الحمضية وتشغل حوالى ٨٤ ٠/٠ من المجموع الكلى فمثلها فى فلسطين مثل القطن فى تجارة الصادرات المصرية . ثم يأتى بعد ذلك مقادير قليلة من المواد الأولية كالجلود والمصارين والصوف الخام وقيمتها ٦و٥ ٠/٠ من المجموع وأخيرا المواد المصنوعة كالمستحضرات الكيمياوية ومنها البروم والبوتاس والصابون وبعض العقاقير الطبية والعطور وقليل من الملابس الجاهزة وغزل القطن والخيوط وقيمتها كلها ٩و٥ ٠/٠ .

وأهم ما نلاحظه على تجارة فلسطين الخارجية :

١ — ان الميزان التجارى فى فلسطين سلبي كما هو الحال فى العراق وسوريا ومعدل العجز السنوى فيما قبل الحرب الثانية كان عشرة ملايين ليرة أو ضعف الصادرات كلها وسبب هذا العجز الكبير هو ولا شك دور التعمير والانشاء الذى تجتازه البلاد فى الوقت الحاضر ، فبناء المستعمرات اليهودية واقامة المنشئات الصناعية والتوسع فى أعمال الرى والزراعة وتعبيد الطرق والاكثار من وسائط النقل كلها أعمال تحتاج الى رؤوس أموال كبيرة لم تأت بعد ثمرتها .

ويغطى هذا العجز الكبير بالصادرات غير المنظورة وتتكون هذه

---

(١) تعادل الليرة الفلسطينية جنيها انكليزيا أو دينارا عراقيا . أما الليرة السورية واللبنانية فقيمتها متغيرة وهى فى المتوسط تساوى $\frac{1}{9}$ الجنيه الانكليزى أو ١١ قرشا مصريا

من رؤوس الأموال التي يأتي بها المهاجرون اليهود أو ترسلها اليهم المؤسسات والجمعيات الصهيونية في الخارج وما ينفقه السائحون والحجاج (وقد قدر في بعض السنوات بحوالي مليون ليرة) ومن مستوردات شركة النفط العراقية ودخل الأوقاف المسيحية والاسلامية والصهيونية في خارج فلسطين ونفقات جيش الاحتلال الى غير ذلك مما لا يظهر له مقابل في جداول الصادرات .

٢ - عظم قيمة البضائع المستوردة بقصد استغلال موارد الثروة الطبيعية وتكون هذه ثلث الواردات كلها .

٣ - اعتماد تجارة الصادرات الى حد كبير على سلعة واحدة وسوق واحدة فاكثر من ٨٠ ٪ من هذه التجارة قائم على الثمار الحمضية وأكثر من ٧٥ ٪ من هذه الأثمار ترسل الى السوق الانكليزية .

٤ - ارتفاع ما يخص الفرد الواحد من السكان من هذه التجارة وعلى الأخص من تجارة الواردات فهو يبلغ حوالى ١٢ ليرة وهذا يزيد كثيرا عنه في مصر أو العراق أو أي بلد من البلاد المجاورة ويقرب جدا منه في انكلترا والولايات المتحدة وغيرهما من البلاد ذات التجارة النامية المتقدمة .

البلاد التي تتجر معها فلسطين : طبيعي ان تحتل الدولة التي كانت منتدبة في فلسطين المركز الأول في تجارة هذه البلاد ولكن على الرغم من ذلك نجد ان ألمانيا فيما بعد سنة ١٩٣٦ أخذت تحتل مركزا ممتازا في السوق الفلسطينية وزادت وارداتها على الواردات الانكليزية . ومرجع هذا كما لمحنا فيما مضى التغير في تيار الهجرة اليهودية على أثر تولى الحزب النازى

الحكم فى ألمـانيا وصدور القوانين المقيدة لحريتهم فى هذه البلاد فخرج عدد كبير منهم قاصدا فلسطين ولما كانت القوانين الألمانية تمنع نقل أموالهم فقد استبدلوها بالآت ومكائن ومهمات صناعية احتلت ركناً هاما فى واردات فلسطين منذ ذلك الحين .

وتلى كلا من ألمانيا وانكلترا فى تجارة الواردات سوريا وتصدر الى فلسطين المواد الغذائية كالخضروات اليابسة والبيض والدجاج . ثم رومانيا (الأخشاب) والولايات المتحدة (الآلات الزراعية) ومصر (الجلود وبذرة القطن) والعراق (الأسماك والبيض والحيوانات الحية) .

أما صادرات فلسطين فاكثرها ما يرسل الى بريطانيا التى تستولى على ٧٠ ٪ من جملة الصادرات وأغلبها كما قلنا من الثمار الحمضية ويلى ذلك سوريا بنسبة ضئيلة لا تتجاوز ٥ ٪ ثم هولنده وبولاند وغيرهما بنسب أقل من ذلك .

أما تجارة فلسطين مع البلاد المجاورة فغير متقدمة وذلك لتشابه غلاتها ومنتجات جاراتها ففى الفترة من ١٩٢٤ - ١٩٣٧ استوردت منها حوالى ١٠ ٪ من جملة وارداتها وصدرت اليها دون ١٠ ٪ من صادراتها . غير ان العلاقات التجارية بينها وبين هذه الدول نشطت كثيرا خلال مدة الحرب الثانية بسبب توقف الواردات الاجنبية وقد استغلت الصناعة الفلسطينية هذا الاضطراب الوقتى الى أقصى حد مستطاع ولكن هذا النشاط لم يلبث ان ضعف بانتهاء هذه الحرب ثم انطفأ تماما عندما ظهر الثعلب الصهيونى فى رداءه الحقيقى مناصبا جيرانه العرب العداء .

هذا وقد ساعد انشاء ميناء حيفا وتجهيزها بأحدث المنشئات وفتح الطريق

الصحراوى الى العراق على تنشيط التجارة المرورية (الترانسيت) عبر فلسطين الى سوريا والعراق .

والخلاصة ان هذا التوسع فى تجارة فلسطين لا يرتكز على أساس اقتصادى سليم لأن موارد البلاد الطبيعية محدودة كما رأينا . ولو أن هناك ثروة معدنية دفينة يمكن استغلالها أو امكانيات زراعية يمكن العمل على أنهاضها لجاز لنا أن نعتبر هذا الفرق الكبير بين الواردات والصادرات ظاهرة عارضة لا تلبث أن تزول عندما تبدأ هذه الموارد الطبيعية تأتى ثمرتها . أما وموارد البلاد كما رأينا فان الرخاء الذى يريد اليهود أن يخلقوه فى فلسطين رخاء كاذب يعتمد فى الدرجة الأولى على صدقة اليهود العالميين ، وإذا كان هذا هو حال فلسطين الموحدة التى كانت تعيش فى كنف جاراتها وشقيقاتها العربية معتمدة فى أكثر من ثلث غذائها على ما تستورده منها وفى قسم كبير من صادراتها الصناعية القليلة على ما ترسله الى أسواقها فكيف يكون حال دولة اسرائيل المزعومة التى يريدون لها الاستقلال والانفصال عن بقية البلاد والتى ناصبت جاراتها العداء ؟ ان هذه الدولة « لا يمكن أن تعيش طويلا لأنها لا تستند الى أى أساس سياسى أو اقتصادى سليم . . . وقد ولدت ميتة لأن سكانها لا يبلغون المليون ومواردهم الاقتصادية محدودة وفى رأى مستر بيفن (وزير خارجية انكلترا) انه لا يمكن لدولة تعيش على صدقة اليهود العالميين ان تبقى طويلا »[1] ولكنى من جانبى أريد أن أذكر المستر بيفن ان اليهود وهم أساتذة العالم فى الشئون المالية والتجارية وفى حساب الربح والخسارة لا يمكن أن يكون قد فاتهم هذا وانهم ان ضحوا حتى الآن بأموالهم فانما فعلوا ذلك فى

---

(١) جريدة المصرى : تاريخ ٨ أغسطس سنة ١٩٤٨

انتظار ربح مأمول وان هذا الربح سوف يأتيهم عند تحقيق حلمهم الأكبر بتوسيع حدود اسرائيل حتى تشمل بلادا عربية أخرى وقد رأيناهم يعدون مشروعاتهم فى الرى على حساب مياه سوريا ولبنان وشرق الاردن كما سمعنا قادتهم العسكريين ينكرون التقسيم ويعتبرون فلسطين كلها ملكا لهم . فهل بعد ذلك يلوموننا اذا نحن صحونا من نومنا وأردنا أن ندفع الخطر عن أنفسنا ؟

الفصل الرابع

ـ طرق المواصلات ـ (١)

قامت فى فلسطين على أثر الاحتلال البريطانى لهذه البلاد وتقرير الانتداب فيها نهضة كبيرة لمد الطرق البرية وتعبيدها وتحسين الخط الحديدى الرئيسى الذى يربطها بمصر وأنشاء بعض الخطوط الفرعية التى تربطه بالمدن الداخلية الهامة .

وتسير الخطوط الرئيسية للمواصلات فى فلسطين فى أتجاه المحور العام للتضاريس أى من الشمال الى الجنوب كما تتخذ الخطوط المستعرضة المنافذ الطبيعية فى الهضاب والمرتفعات ولهذا نجد أن المواصلات تركزت فى منطقتين : المنطقة الساحلية ، والقسم الشمالى ، حيث يوجد سهل أسرائيل الموصل بين السهل الساحلى ووادى الاردن ، غير أن هناك أعتبارات أخرى سنشير اليها فيما بعد .

الخطوط الحديدية : هناك خط واحد رئيسى وهو الخط الساحلى الذى

---

(١) يحسن بالقارىء أن يراجع هذا الفصل على خريطة فلسطين المنشورة باول هذا الكتاب .

يربط السكك الحديدية المصرية عند القنطرة على الضفة الشرقيـــة لقنال السويس بفلسطين، وقد بنى هذا الخط خلال الحرب العالمية الاولى لاغراض عسكرية بحتة ، قام الاتراك والالمان بمده لتسهيل أرسال الحملة العسكرية التي سيروها على مصر اذ ذاك فلما فشلت هذه الحملة أستفاد منه الانجليز في هجومهم المضاد على فلسطين وقد ظل خاضعا للسلطات العسكرية البريطانية والحكومة الفلسطينية حتى نهاية الانتداب بما في ذلك القسم منه الممتد في الاراضي المصرية أي من القنطرة حتى رفح ، وعلى الرغم من أنقضاء ثلاثين سنة على نهاية الحرب الأولى فان المفاوضات بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية على أنهاء هذا الوضع الشاذ - تملك حكومة أجنبية لخط حديدى في أملاك دولة أخرى مستقلة ذات سيادة — لم تنته بعد !!

يسير هذا الخط في موازاة الساحل وعلى مسافة خمسة الى عشرين كيلو مترا منه مارا بخـــان يونس وغزة واللدة وطولكرم ثم ينتهي عنـــد حيفا .

ظلت حيفا نهاية هذا الخط حتى كانت الحرب الثانية وزاد النفوذ الالماني في كل من سوريا ولبنان بعد تأسيس حكومة فيشي فقامت الحكومـــة البريطانية بعد هزيمتها للجيوش الفرنسية في هذا القسم من الشرق الاوسط بمد الخط الساحلي الى رأس الناقورة وسارت به داخل الحدود اللبنانيـة الى صور وصيدا وبيروت حتى أوصلته الى طرابلس التي يربطها بحلب خط ذو مقياس موحد Standard gauge وبذلك تم الاتصال بين الشبكة المصرية

---

١ - ومع أن حيفا كانت المحطة النهائية فان الخط الحديدى كان يمتد الى مسافة ثمانية عشر كيلو مترا الى الشمال منها أي حتى عكا .

والشبكتين العراقية والتركية اذ أن حلب على أتصال مباشر بواسطة سكة حديد طوروس ـ خط بغداد برلين المشهور ـ بكل من بغداد ، وحيدر باشا وهي المحطة المقابلة لاستانبول على الجانب الاسيوي من البسفور . وبمد هذا الخط الجديد أصبح لجاسمسمارآخر فى الاراضى اللبنانية يشبه المسمار الذى خلفه فى الاراضى المصرية بعد أنسحابه عنها .

فهذا الخط الساحلى كما يستدل من تاريخه بنى لاغراض عسكرية بحتة ومع ذلك فقد كانت ولا تزال قيمته الاقتصادية كبيرة وخاصة بعد التوسع فى زراعة الثمار الحمضية فى منطقة السهل الساحلى كما أنه من الممكن أن يساعد على تسهيل التبادل التجارى بين البلاد العربيــة وجارتها تركيـا .

وتعتبر مدينة اللدة أهم نقطة على الخط الفلسطينى لان منها يتفرع خطان أحدهما يتجه شرقا ويربطها بالقدس وهى العاصمة وثانيهما يتجه غربا الى يافا وتل أبيب وهى أكبر المدن الفلسطينية .

كذلك يخرج خط آخر مستعرض من عند حيفا يتجه جنوبا بشرق فى وادى أسرائيل حتى مدينة عفولة وبعدها ينحدر الى الغور حتى مدينة بيسان ومنها يتجة شمالا الى الساحل الجنوبى لبحيرة طبرية عند قرية سمخ ثم يدخل وادى اليرموك ، وعند درعا يلتقى بسكة حديد الحجاز القادمةمن دمشق . وهذا الخط هو أقدم الخطوط الحديدية فى فلسطين كما أنه كانقبل أنشاء الخط الساحلى بين حيفا وطرا لمس واسطة الاتصال بين الخطوط السورية والفلسطينية : أنشأه العثمانيون قبيل الحرب الأوربية الأولى وكان الغرض منه فى الظاهر تسهيل نقل الحجاج الفلسطينيين الى الحرمين الشريفين

ولكن فى الواقع كانت ترمى الحكومة العثمانية من وراء أنشائه غرضا آخر وهو القضاء على ميناء بيروت عاصمة لبنان التى طالما ناوءت الدولة العلية وحصلت فى نهاية الأمر بمساعدة الدول الأوربية لها على شبه أستقلال داخلى . كانت ترمى الحكومة العثمانية من وراء أنشاء هذا الخط تحويل التجارة السورية الى ميناء حيفا والموانىء الفلسطينية ، خاصة وأن أجور النقل على هذا الخط كانت رخيصة جدا لانه أنشىء باموال المسلمين التى جمعت بطريقة التبرع فلم تكن هناك أرباح على تشغيله كما هو الحال فى الخطوط التى تمدها الشركات أو الحكومات . ولكن قيام الحرب العالمية الاولى وخروج هذه الأقسام عن حكم العثمانيين أفسد هذا التدبير .

وهناك خطان آخران فرعيان وهما خط طولكروم نابلس وخط عفولة نابلس .

الطرق البرية : وهى فى فلسطين أهم بكثير من السكك الحديدية نظرا لقصر المسافة بين المدن الرئيسية ولكثرة الطرق التى مدت وعبدت خاصة فى القسم الشمالى من البلاد . وتخصص الحكومة الفلسطينية أكثر من نصف المبالغ المرصودة للاشغال العامة لانشاء الطرق وأصلاحها ، وذلك عدا ما تنفقه المستعمرات اليهودية والبلديات فى هذا الشأن . (١)

وكانت مدينة القدس فى سنة ١٨٩٦ مرتبطة بيافا ونابلس والخليل واريحا بطرق معبدة مرصوفة . وكان طريق يافا القدس وهو طريق الحج وطوله

---

١ - كانت ميزانية الاشغال العامة فى سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٦ : ٦٤٨و٠٠٠ ليرة فلسطينية ؛ أنفق منها على صيانة الطرق : ٣٤٥و٠٠٠ ليرة .

٦٥ كيلو متراً صالحاً لسير العربات تقطعه في يومين : غير أن هذه أهملت وأصبحت غير صالحة للاستعمال . فلما كانت الحرب الأولى أنشئت على عجل كثير من الطرق العسكرية لنقل الجنود واعداد الحملة العسكرية على قنال السويس . وقد أستفاد البريطانيون فيما بعد من هذه بعد أن اصلحوها وزادوا منها . ولكن تاريخ الطرق المدنية لم يبدأ الا في سنة ١٩٢٣ أي بعد تأسيس الحكومة المدنية، وفي سنة ١٩٢٦ تكون المجلس الاستشاري للطرق An Advisory Road Board وكانت سياسته قائمة على مبدأين : أولهما . ألا تمد طرق من أى نوع في موازاة الخطوط الحديدية حتى لا تقوم المنافسة بين هذين النوعين من النقل فتتأثر ايرادات الحكومة . ثانيهما ، ان الطرق التي تقوم على خدمة جهة معينة لا تقوم الحكومة بانشائها الا اذا قدم المنتفعون بها مساعدة قيمة للحكومة تستعين بها على هذا الانشاء . وفي تقرير هذا المبدأ مظهر آخر من مظاهر عمالئة الدولة المنتدبة للمستعمرات اليهودية : ذلك ان هذه المستعمرات والمهتمين بأمرها في الخارج لديهم من القوة المالية ما يساعدهم على تقديم هذه المساعدات على عكس القرى والبلديات العربية الفقيرة . وقد نجم عن اتباع هذه السياسة ان تركزت الطرق الجديدة كلها في المناطق اليهودية وأهملت المناطق العربية اهمالا مزريا فلما كانت سنة ١٩٣٣ واجتمع المجلس على عادته للنظر في تقرير واصلاح الطرق المخصصة لتلك السنة حاول العضوان العربيان اقناع الحكومة باتباع سياسة عادلة يستفيد منها جميع سكان البلاد، وقد استعان أحدهما بخريطة رسمت عليها الطرق باللون الأحمر وقال في لهجة تهكمية، ان الأقسام الجنوبية ـ العربية ـ تشكو من مرض فقر الدم فهل آن الآن و ان نعالجها بطريقة نقل الدم اليها ؟ يشير الى رسم خطوط حمر

(طرق) فيها ولكن صيحته وتهكمه وقعا على اذان صماء فانسحب العرب من هذا المجلس وكان هذا اخر عهدهم به .

وقد ظل القسم الجنوبي نتيجة هذه السياسة العنصرية محروما من الطرق الصالحة حتى قيام الحرب العالمية الثانية واضطرار السلطات العسكرية الى الاعتناء بأمرها كضرورة عسكرية بحتة فالطريق الساحلي من يافا الى غزه مثلا كان مفروشا بالاسفلت لمسافة خمسة وأربعين كيلوا مترا فقط تنتهي عند ريشون لزيون ورحوفت وهما مستعمرتان يهوديتان وبعدها يصبح غير صالح لاستعمال السيارات حتى غزة وبئر سبع كما كانت المجدل وفلوجه وبئر جبرين وغزة وبئر سبع وغيرها من المدن العربية حتى سنة ١٩٤٠ تكاد تكون منعزلة عن بقية البلاد وهذا كله على عكس الأقسام الشمالية حيث توجد شبكة من الطرق المعبدة الصالحة للاستعمال وحتى فى هذا القسم غلبت العنصرية البغيضة على المصلحة العامه فاهمل القسم من الطريق الساحلي بين حيفا وعكا وهو طريق الاتصال بين فلسطين وسوريا بحجة ان اتمامه يؤثر فى دخل السكة الحديدية .

وأهم الطرق الفلسطينية هي :

١ ـ الطريق الساحلي : من الحدود المصرية جنوبا الى الحدود اللبنانية شمالا ويسير فى موازاة السكة الحديدية حتى اللدة وعندها يخرج منه فرعان احدهما غربا الى يافا وتل أبيب والآخر شرقا الى القدس ، ومن اللدة يتابع سيره الى حيفا وعكا ورأس الناقورة حيث يتصل بطريق الساحل اللبناني .

٢ ـ الطريق الداخلي ويبدأ من شمال فلسطين فى صفد وطبرية والناصرة وغيرها مارا بعفولة وجنين ونابلس ورام الله والقدس ويستمر جنوبا

مخترقا هضبة يهودية الى الخليل وبئر سبع وعسلوج والعوجة قرب الحدود المصرية .

ويربط هذا الطريق الداخلى بالطريق الساحلى عدة طرق مستعرضة أكثرها فى القسم الشمالى فهناك الطريق من صفد الى عكا والطريق من طبرية الى حيفا والطريق من جنين الى حيفا أيضا ومن نابلس الى طولكرم فالطريق الساحلى . وقد أشرنا الى طريق القدس تل أبيب وتقع عليه اللطرون التى حدث القتال حولها بين العرب واليهود لتحكمها فيه وأخيرا طريق بئر سبع غزة .

وترتبط فلسطين بجارتيها شرق الأردن وسوريا بعدة طرق : يبدأ أولها من بيت المقدس ثم ينحدر انحدارا سريعا حوالى الألف ومئة متر الى أريحا وبعدها يعبر الاردن عند جسر اللنبي ثم يرتفع ثانية حتى يصل الى عمان فى شرق الاردن ومنها يمكن متابعة السير فى طريق معبد من أحسن طرق الشرق الاوسط كله الى بغداد .

أما الطريق الثانى فيبدأ من حيفا وعكا الى صفد ويعبر الاردن جنوب بحيرة الحولة عند جسر بنات يعقوب ويستمر شرقا بشمال قليل الى القنيطرة ودمشق ومنها بطريق صحراوى غير معبد الى الرطبة حيث يلاقى الطريق السابق ثم الى بغداد .

ويمكن عبور الاردن فى نقطة ثالثة جنوب بحيرة طبرية وهى جسر المجامع وهذا الطريق يقود الى المفرق فى شرق الاردن فعمان . والمفرق كما يدل عليها اسمها هى النقطة التى يتفرع عندها طريق بغداد الى فرعين يدخل أولهما فلسطين عند جسر اللنبي والآخر عند جسر المجامع .

الباب الثالث

سكان فلسطين

ليس من السهل على الباحث أن يتتبع حركة النمو السريعة فى عدد سكان هذه البلاد الصغيرة فى الفترة بين الحربين ، فقد قدرتهم الدولة المنتدبة فى سنة ١٩٢٢ بثلاثة أرباع المليون نسمة (٧٥٢٠٤٨) ولما ان أحصى السكان احصاء دقيقا سنة ١٩٣١ وجد انهم قد زادوا الى ١و٠٣٥و٨٢١ نسمة وكان المقرر ان يعمل الاحصاء التالى بعد انقضاء عشر سنوات أى فى سنة ١٩٤١ ولكن قيام حالة الحرب فى تلك السنة حالت دون ذلك ومع هذا فقد أصدرت الحكومة الفلسطينية تقديرا رسميا فى سنة ١٩٤٥ كان عدد السكان فيه ١و٨٠٩و٨٣٧ من النفوس ومعنى ذلك ان معدل الزيادة بلغت فى أقل من ربع قرن حوالى ١٥٠ ٪ وهى نسبة لم نسمع بها فى أى قطر اخر ولا حتى فى البلاد الجديدة فى أشد أوقات الهجرة اليها :

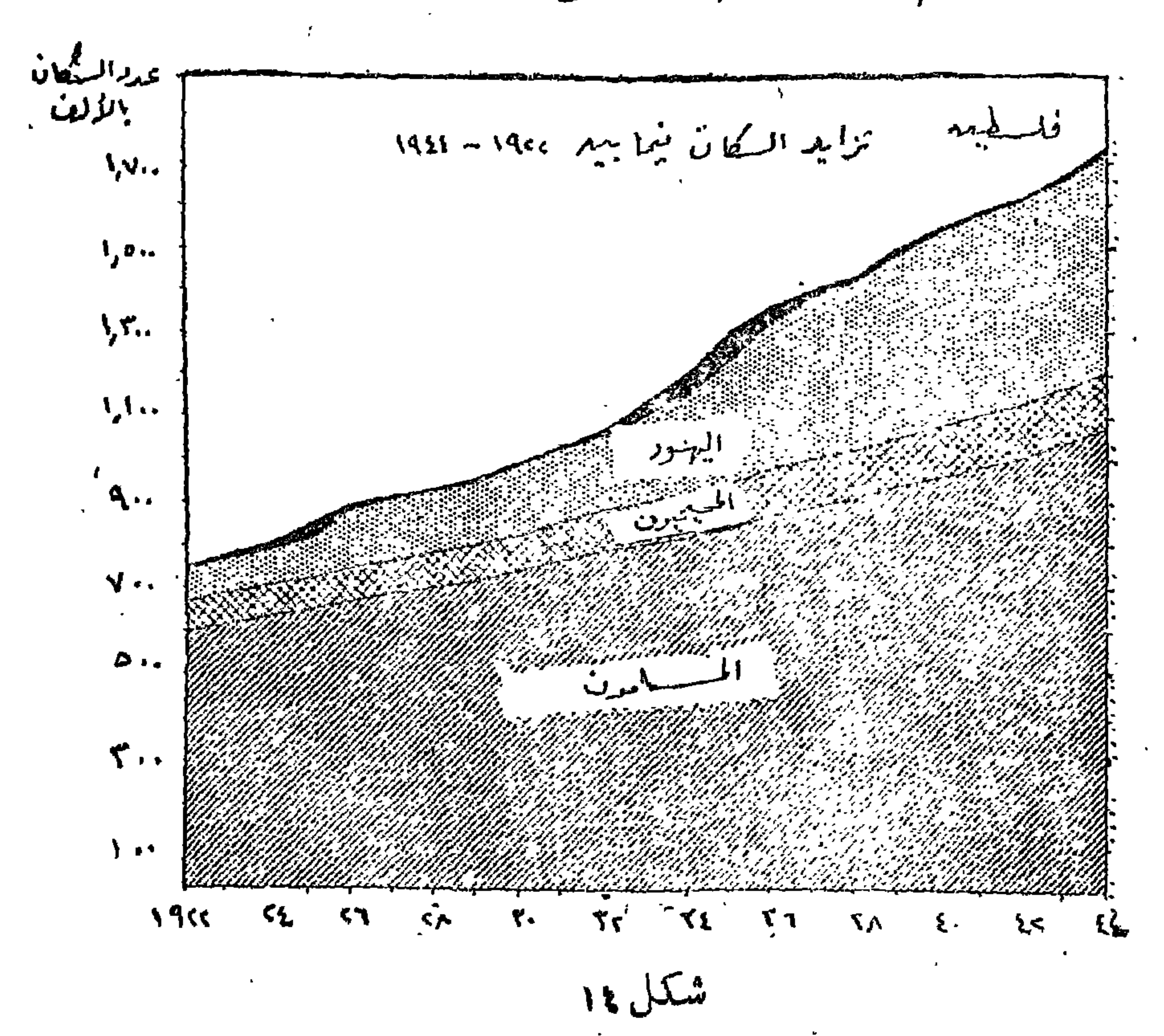
جدول - ٦ -

	تقدير سنة ١٩٢٢	احصاء سنة ١٩٣١	تقدير سنة ١٩٤٥ (١)
كل الديانات :	٧٥٢و٠٤٨	١و٠٣٥و٨٢١	١و٨٠٩و٨٣٧
المسلمون :	٥٨٩و١٧٧	٧٥٩و٧١٢	١و١٠١و٣٦٥
اليهود :	٨٣و٧٩٠	١٧٤و٦١٠	٥٥٤و٣٢٩
المسيحيون :	٧١و٠٦٤	٩١و٣٩٨	١٣٩و٢٠٥
مذاهب أخرى :	٧و٦١٧	١٠و١٠١	١٤و٩٨٥

(١) وهو التقدير الذى أصدرته الحكومة الفلسطينية فى منتصف سنة ١٩٤٦ عن حالة السكان فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٥ وقد نشرته جريدة الايجبشيان ميل بتاريخ ٧ أغسطس سنة ١٩٤٦ نقلا عن شركة رويتر التلغرافية .

أما المظهر الثاني لمشكلة السكان في فلسطين فهو التغير العظيم في النسبة العددية لعناصر السكان كما يتضح من الجدول السابق .

فعلى حين كانت نسبة عدد المسلمين ٣و٧٨ ٪ من مجموع السكان في سنة ١٩٢٢ أصبحت في سنة ١٩٤٥ أي بعد ثلاثة وعشرين سنة من حكم الانكليز وهي ٧و٦٠ ٪ فقط وعلى العكس من ذلك زادت نسبة عدد اليهود من ١و١١ ٪ الى ٦و٣٠ ٪ من مجموع السكان لا بل ان نسبة هذه الزيادة



شكل ١٤

تبدو عظيمة جدا اذا نحن تذكرنا ان عدد اليهود فى فلسطين فى منتصف القرن الماضى لم يزد على عشرة الاف شخص . وهذه الزيادة العظيمة كانت ولا شك نتيجة للهجرة المنظمة التى جاءت الى فلسطين فى عهد الانتداب البريطانى ويبين الرسم التوضيحى (شكل ١٤) تدرج الزيادة فى كل عنصر من العناصر الثلاثة التى يتكون منهم سكان فلسطين .

والمظهر الثالث الجدير بالملاحظة هو أنه رأن كانت العناصر العربية وخاصة الاسلامية وهم السواد الاعظم لم تتأثر بالهجرة الخارجية [١] فان عددهم قد تضاعف فى هذه الفترة . أما اليهود وقد بلغ عددهم فى سنة ١٩٤٥ سبعة أمثال ماكانوا عليه فى سنة ١٩٢٢ فان ٧٤ ٪ من هذه الزيادة جاءتهم من الخارج أى كانت نتيجة للهجرة .

وطبيعى أن تختلف كثافة السكان من جهة الى أخرى تبعا لقوة الانتاج والامكانيات الاقتصادية فهى أعلاها فى السهل الساحلى حيث تبلغ حوالى ١٥٠ نسمة للكيلو متر المربع واقلها فى النقب حيث لا تتجاوز خمسة أنفس للكيلو الواحد . ويلى منطقة الساحل فى كثافة سكانه سهل أسرائيل فهضبة اليهودية فسهل عكا

---

(١) يقدر عدد المهاجرين غير اليهود الذين دخلوا فلسطين فى الفترة : ١٩٢٢ - ١٩٤٥ - بحوالى ٣٠ ١٣ من المسلمين جاءوا من شرق الاردن وسوريا ومصر والعراق والسودان و ... و ١٠ من المسيحين معظمهم من الاوربين الذين دخلوا البلاد للقيام بالاعمال الحكومية والقنصلية والدينية على أثر انسلاخ فلسطين من الامبراطورية العثمانية « سعيد حماده ـ النظام الاقتصادى فى فلسطين »



كثافة السكان فى فلسطين

الدائرة الخارجية: ١٧٥و٠٠٠ نسمة

الدائرة الثانية: ١٠٠و٠٠٠ نسمة

الدائرة الثالثة: ٥و٠٠٠ نسمة

الدائرة الرابعة: ١٠و٠٠٠

الدائرة الداخلية: ٢و٠٠٠ نسمة

ومن الظواهر الجديرة بالاعتبار أيضاً عند الكلام على توزيع السكان فى فلسطين قيام المدن الحديثة وسرعة نموها ومن هذه ثلاث يزيد عدد سكانها الآن على المائة الف وهى تل أبيب (١٦٧و٠٠٠) والقدس (١٥٧و٠٠٠) وحيفا (١٢٩و٠٠٠) ثم يافا وقد قاربت هذا الرقم (٩٤و٠٠٠) والى جانب هذه المدن الاربع توجد عشرون أخرى لها مجالسها

البلدية ولكن أثنى عشر فقط منها يزيد عدد سكانها عـلى عشرة الآف نسمة .

وعلى حين يميل اليهود الى سكنى المدن - ٣٢٩٠٠٠ منهم أو حوالى ٦٠ ./. من مجموعهم الكلى يسكن المدن الثلاث الكبرى - نجد أن غالبية العرب ٧٠ - سكان قرى ودساكر . ويرجع السبب فى ذلك الى طبيعة العمل الذى يزاوله اليهود فالقسم الأكبر منهم يشتغل بالاعمال الصناعية والتجارة . ورغم ما يذيعه دعاتهم مـن أقبالهم على الزراعة وأنشاء المستعمرات الزراعية فان عدد المشتغلين منهم بهذه الحرفة لا يزال قليلا وربما كان ذلك نتيجة أستخدامهم الآلات الحديثة فى تلك المستعمرات مما يساعد على الاقتصاد فى الايدى العاملة . أما العرب فلا تزال الزراعة أهم حرفة لهم ولما كانت اليد العاملة هي المصدر الاوحد الذى يعتمدون عليه فقد كثر العاملون فيها .

الحالة الاجتماعية لعرب فلسطين: ذكرنا أنفا أن عدد السكان من العرب قد تضاعف فى الفترة من سنة ١٩٢٢ الى سنة ١٩٤٥ ويرجـع الباحثون سبب هذه الزيادة الى كثرة المواليد بسبب أقبال العرب على الزواج وحبهم لكثرة النسل ، وهى صفة لا يختص بها العرب بـل يشاركهم فيها اليهود ويشاركهم أيضا فى الزواج المبكر فمتوسط سن الزواج للمرأة دون العشرين وللرجل دون الرابعة والعشرين كما أن زواج الارامل والمطلقات لا حرج عليه عند العرب ولهذا ليس غريبا أن نجد أن نسبة المواليد للألف من السكان بلغت الخمسين فى الفترة التى هى موضوع بحثنا . وقد ساعد أرتفاع مستوى المعيشة العام وتحسن الاحوال الصحية جملة على بلوغ نسبة الزيادة الى ٢و٤ ./.

فى السنة وهى نسبة عالية جدا اذا تذكرنا أنها فى كثير من الدول الاوربية تقل عن الواحد . وقد صحب هذه الزيادة الكبيرة فى المواليد نقص ملموس فى نسبة الوفيات فهبطت من ٣٠ الى ١٨و٧ فى الالف وهى نسبة يحسدها عليها كثير من الاقطار المجاورة . ولكن مثل هذه الزيادة لا يمكن أن تستمر بأى حال من الاحوال لقلة المرافق الاقتصادية فى البلاد وقد بدأت تظهر دلائل ذلك وعلى الأخص بين الطبقات المثقفة حيث أخذ عدد مواليدهم يقل سنة بعد أخرى كما أخذت سن الزواج فى الارتفاع

ويسكن أكثرية العرب كما ذكرنا ريف فلسطين وقراه حيث يشتغلون بالزراعة وتربية الماشية وقد قدرت نسبة هؤلاء فى أحصاء سنة ١٩٣١ بخمسة وستين فى المائة من مجموعهم يقابلها عند اليهود ١٥ ٪ فقط ولكن ليس معنى هذا أن هذه النسبة هى بعينها النسبة بين عدد ومساحة المزارع العربية واليهودية ، وانما يمكن تفسير هذه الظاهرة بأن اليهود يتبعون فى مزارعهم النظم الحديثة ويستخدمون الآلات والاجهزة الميكانيكية مما يساعد على نقص الايدى العاملة فضلا عن أن التنظيم الاقتصادى عندهم قائم على رؤس الاموال الكبيرة وهذا يتطلب تحرير العدد اللازم لاعداد المحاصيل وتسويقها والقيام بالاعمال الفنية المتصلة بحرفة الزراعة وهذا بدوره يفسر لنا الزيادة الكبيرة فى عدد اليهود المشتغلين بالتجارة والادارة والحرف الفنية فى السنوات الأخيرة . ففى التجارة مثلا زاد عدد المشتغلين بها من ٢٨٦٠٠ فى سنة ١٩٣١ الى ٧٥٠٠٠ فى سنة ١٩٣٦ وفى الحرف الحرة زاد العدد من ١٧٤٠٠ الى ٤٨٠٠٠ فى نفس الفترة وفى الادارة من ٧٤٠٠ الى ١٢٠٠٠ على حين بقى عدد العرب المشتغلين بهذه الحرف الثلاث ثابتا فى

هذه المدة .

المهجرة اليهودية الى فلسطين : ما كادت الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها حتى تدفق على فلسطين سيل جارف من مهاجرى اليهود مدفوعين الى ذلك بعدة عوامل يمكن تلخيصها فيما يأتى

١ ـ تحسين مستواهم الاقتصادى وخاصة على أثر الكساد الذى حل بالقارة الاوربية فى أثر تلك الحرب وبسبب القوانين المقيدة للهجرة التى فرضتها الولايات المتحدة ودول أمريكا الجنوبية

٢ ـ التخلص من القوانين المقيدة للحرية التى فرضتها بعض الحكومات الاوربية على رعاياها من اليهود وخاصة فى وسط القارة ويظهر أثر هذا العامل فى كثرة الوافدين من بولانده وروسيا السوفيتية ورومانيا ، وقد تغير ترتيب هذه الدول بعد سنة ١٩٣٥ فاحتلت المانيا المكان الاول بين الدول التى لفظت اليهود من بلادها .

٣ ـ تحقيق الفكره الدينية والقومية التى يعبرون عنها باسم «الصهيونية» أو أنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين وهو ما صرحت به الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها بلفور فى خطابه التاريخى الى اللورد روتشيلد بتاريخ ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ وفيه يقول :

« يسرنى كثيرا أن ابلغكم باسم حكومة جلالة الملك التصريح الآتى الصادر عن العطف على الامانى اليهودية وقد عرض على الوزارة البريطانية فاقرته :

« أن حكومة جلالة الملك تنظر بعين الارتياح الى تأسيس وطن قومى

للشعب اليهودى وستبذل قصارى جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ،

وقد بذلت حقا كل ما أتيت من جهد وقوة ولكن قوة العرب المعنوية أولا وجيوشهم ثانيا افسدتا تدبيرها .

وليس من شك فى ان العامل الاخير كان أقوى العوامل كلها لانه صادف هوى فى نفوس يهود العالم قاطبة فآزروه بكل ما لديهم من قوة مالية وسياسية وأسسوا الجمعيات اليهودية فى كل قطر من أقطار المعمورة لجمع المال تشد به أزر المهاجرين وتشترى لهم الاراضى فى فلسطين وتؤسس المستعمرات وتزودها بأحدث الأدوات والآلات لا بل وتنشىء المدن الكبرى وأخيرا لتقيم الحصون وتسلح هؤلاء المهاجرين ليكونوا عدتها اذا ما دقت الساعة التى حددوها لكشف القناع عن سياستهم الحقيقية .

وجدت الحكومة المنتدبة فى فلسطين نفسها أمام سيل جارف من المهاجرين فأخذت تسن القوانين وتصدر التشريعات لتنظيم هذه الهجرة ولكنها كانت كلها قوانين مطاطة يمكن التغلب عليها وتمادبها كما يظهر من تحليل قانون سنة ١٩٢٥ وهو الذى نقض كل ما سبقه وظل قائما حتى نهاية الانتداب .

قسم هذا القانون المهاجرين الذين يسمح لهم باستيطان فلسطين الى اربع مجموعات كبرى :

(أ) (١) الاشخاص الذين يملكون ١٠٠٠ ليرة فلسطينية أو أكثر ومعهم عائلاتهم .

(٢) أصحاب المهن الحره المالكون لخمسمائة ليره أو أكثر

(٣) الصناع الماهرون ممن يملكون ٢٥٠ ليرة فأكثر

(٤) ذوو الايراد الثابت بحيث لا يقل ايرادهم عن أربع ليرات شهريا

(ب) (١) اليتامى الذين تتعهد ملاجىء ومؤسسات فلسطينية بأيوائهم

(٢) الرجال والنساء التابعون لمؤسسات دينية ومعهم ذووهم

(٣) الطلبة الذين يكون معاشهم مضمونا

(ج) العمال رجالا ونساء وذووهم .

(د) عائلات المقيمين فى فلسطين ممن تسمح حالتهم بتوفير معاشهم

والمتأمل فى هذه الفئات يبدو له اذا نظر اليها نظرة سطحية انه فيما عدا المجموعة الثالثة وهى مجموعة العمال من الرجال والنساء والقسم الأول من المجموعة الثانية وهم اليتامى اذا ما بلغوا سن العمل وكسب العيش ان لا خطر من مزاحمة هؤلاء المهاجرين لسكان البلاد فى سوق العمل . ولكن اذا رجعنا الى بعض الفئات الأخرى نجد ان القانون كان فى الواقع ستارا شفافا تظهر منه النية الحقيقية فاصحاب الايراد الثابت البالغ أربع ليرات وذووهم لا يمكن أن يظلوا طويلا بلا عمل ومثلهم الطلبة اذا ما أكملوا دراستهم وقس على ذلك عوائل المقيمين فى فلسطين وأصحاب المهن الحرة والمهرة من الصناع ذوى رأس المال القليل فان واضع القانون قصد من الشرط المالى تهيئة الوسائل المساعدة على تأسيس المصانع والمحلات التى يمكن أن يزاولوا فيها أعمالهم ومهنهم .

وعلى الرغم من اتساع باب الهجرة التى أجازها القانون فقد عمل اليهود على استعمال الغش والتحايل فادخلوا كثيرين ممن لا تنطبق عليهم الشرائط المتقدمة ويكفى للتدليل على ذلك ايراد المثلين الآتيين من سجلات المهاجرة:

طلب مهاجر عمره ثمانية وعشرون سنة فيزا (سمة) لزوجته البالغة ثمانية عشر سنة وولدهما وعمره اثنى عشر سنة ، وقد منحت ودخل الثلاثة الى فلسطين.

أما المثل الثانى فادهى وأمر ، كان عمر المهاجر ثلاثةوعشرين سنةوعمر زوجته عشرة وابنتها خمس سنوات

وبهذه الطريقة دخل البلاد كثيرون ممن لا تنطبق عليهم شروط الهجرة بموجب شهادات المهاجرة الصادرة من الحكومة المنتدبة وهذا عدا الكثيرين ممن تسللوا الى فلسطين بغير جوازات او تصريحات حتى اصبح عدد اليهود الحقيقى فى فلسطين يزيد كثيراعمايظهر فى الاحصاءات والتقديرات التى تصدرها الحكومة ، ولما كان عدد المهاجرين يحدد سنويا تبعا للقوة الاستيعابية للبلاد فمعنى ذلك ان فلسطين اصبحت وهى تحوى من السكان أكثر مما يتفق وحالتها الاقتصادية وفى هذا اخلال بتصريح بلفور او بعبارة أخرى بتعهدات الحكومة البريطانية التى اردفت بها وعدها باقامة الوطن القومى حيث تقول : « على ان يفهم من هذا بكل جلاء الا يؤتى باى عمل يمكن ان يضر بالحقوق المدنية والدينية لسكان البلاد الحاليين من غير اليهود»

ولم يقف الضرر عند ايجاد المزاحمة المشروعة بكثرة المعروض من الايدى العاملة وزيادتها عن حاجة البلاد ومرافقها الاقتصادية بل تعداه الى اهمال العرب اهمـــالا تاما عند تدبير العمال اللازمين لتنفيذ المشروعات الحكومية : اذ كانت القاعدة المتبعة فى تقدير عدد العمال من الرجال والنساء الذين يمكن قبولهم طبقا للفقرة (ج) من قانون الهجره ان تتقدم الوكالة اليهودية مرتين فى كل سنة الى الحكومة بمذكرة تبين عدد العمال اللازمين للاعمال الجديدة فى فلسطين وبعد مقابلة هذه مع احتياجات السكك الحديدية

ومصلحة الاشغال العامة يتقدم ضابط الهجرة بهذه المذكرة الى المندوب السامى لا تمادها ثم يصدر عددا من شهادات الهجرة يسلمها الى الوكاله اليهودية لتضع عليها اسماء وعائلات من يقع عليهم اختيارها والبلاد المهاجرة منها. وغنى عن البيان ان العمال العرب لم يكن يحسب لهم أى حساب فى هذه العملية اطلاقا فتعطل الكثيرون منهم عن العمل واضطروا تحت ضغط الحاجة الى قبول اجور اقل بكثير مما كانت تقدم لمهاجرى اليهود .واذا تذكرنا الى جانب ما تقدم ان الجمعيات والمؤسسات اليهودية كانت تحرم تشغيل العرب عرفنا الى اى حد اضرت الهجرة اليهودية بمصالح سكان البلاد واصحاب الحق الشرعى فيها.

ضاقت البلاد ذرعا بهذه الحال وشعرت الحكومة البريطانية بتحرج موقفها فاضطر وزير المستعمرات ان يلقى التصريح الاتى فى البرلمان الانكليزى فى اكتوبر سنة ١٩٣٠

« من الواضح أنه اذا كانت هجرة اليهود سوف ينشأ عنها حرمان العرب من العمل اللازم للحصول على قوتهم أو اذا كانت البطالة بين العمال اليهود أنفسهم ستؤثر فى سوق العمل جملة فانه من واجب الدولة المنتدبة أن تقلل أو اذا لزم الحال أن توقف هذه الهجرة حتى يتم تشغيل هؤلاء واولئك المتعطلين »

أغضب هذا التصريح الوكالة اليهودية فهاجت وماجت واضطر رمزى مكدونلد رئيس الوزارة البريطانية اذ ذاك أن يوجه فى فبراير سنة ١٩٣١ خطابا الى الدكتور ويزمان رئيس الوكالة اليهودية يفسر أو بعبارة أصح يعتذر فيه عن تصريح وزير المستعمرات ويقرر موافقة حكومته على قبول مبدأ عدم تشغيل العرب فى المؤسسات والاعمال الممولة برؤوس

أموال يهودية كما تعهد أن تراعى الحكومة عند تقريرها لحاجتها من العمال نسبة مايدفعه اليهود من الدخل العام فتخصص لهم عددا من المهاجرين العمال يتفق وهذه النسبة .

وقد كان هذا التصريح فتحا جديدا للهجرة اليهودية التى أخذت تتدفق على البلاد فى غير حساب فبعد أن كان عددهم منذ بدء الانتداب حتى سنة ١٩٣٠ : ١٠٤٧٥٠ مهاجرا نجد أن هـــذا العدد يصل فيما بين سنة ١٩٣٠ و ١٩٣٦ الى ٦٤٥ و ٢٨٢ أى بزيادة ٨٩٥ و ١٠٧ مهاجرا أو ١٦٢٪ فى ست سنوات وفى نهاية سنة ١٩٣٨ وصل عدد المهاجرين القانونيين الى ٤٩٠ و ٦٠٣م عدا المهاجرين الذين تسللوا الى البلاد بطريق غير مشروعه وهؤلاء لا يقلون عن المائة الف ، واذا قدرنا زيادتهم الطبيعيـــة فى فترة الانتداب بحوالى ٥٠٪ كما هى الحال عند العرب يكون عددهم الآن أكثر من ... و ٩٠٠ مع العلم بان ٥٠٪ هذه تقدير متواضع لأن الاحوال الصحية ومستوى المعيشة والقدرة على الكسب عند اليهود تزيد كثيرا عن نظريتها عند العرب . فنسبة الوفيات عند اليهود مثلا وهى ٧ — ٨ فى الألف أقل نسبة فى العالم كله وأكثرية المهاجرين فى السن المتوســـط (١٥ — ٣٤ سنة) حينما يبلغ التناسل اعظمه ، ويمتاز مهاجرو فلسطين جملة بقلة الشيوخ بينهم كما أن وفيات الاطفال قليلة للغاية . لهـــذا فهم يتكاثرون بسرعة فائقة ، ومن ثم كان الخطر على سكان البلاد عظيما . وكان لا بد من وضع حد لهذا السيل المتزايد الذى طغى على مرافق البلاد وارزاق ساكنيها والذى لا يعرف حدا لاطماعه خاصة بعد أن ناصرته الدول الكبرى تحقيقا لاطماعها الاستعمـــارية ، واذا كان عرب فلسطين

قد عجزوا عن مقاومة هذا الطغيان فانهم الآن وقد جاء أخوانهم لنصرتهم قادرون على أيقافه وعلى أسترداد حقوقهم كاملة .

والخلاصة أن كل حل لقضية فلسطين لا يقوم على أيقاف هذه الهجرة هو فى أعتقادى جريمة لا يغتفرها التاريخ لان هذه الهجرة مهما حددت وقيدت مصيرها الى الأكثار من عدد اليهود حتى يزيدوا على العرب واذ ذاك تصبح لهم الكلمة العليا فى أدارة فلسطين وتوجيه سياستها . واذا كانوا وهم لايزالون أقلية قد أستطاعوا ـ بمساعدة الدول المنتدبة طبعا ـ أن يفرضوا على البلاد نظاما جمركيا مجحفا بمصلحة أكثرية السكان ، وأمكنهم أن يستولوا على الاراضى الحكومية ويحبسوها وقفا على أنفسهم وأن يستخدموا أموال الدولة التى ساهم العرب فى دفع القسم الاكبر منها فى شق الطرق اللازمة لتنمية وترقية مستعمراتهم وأن يقنعوا الحكومة القائمة بتسليحهم ونزع سلاح العرب[1] وحالوا دون قيام أى شكل من أشكال الحكومة النيابية ، اذا أمكنهم وهم اقلية أن يوجهوا سياسة الحكومة بما يتفق ومصلحتهم على هذا النحو فكيف يكون حالهم اذا أصبحت لهم الاكثرية العددية ؟

---

(١) الاشارة هنا الى ماسمحت به الحكومة المنتدبة للمستعمرات اليهودية فى سنة ١٩٢٢ من أنشاء مخزن للسلاح داخل هذه المستعمرات لتدافع به عن نفسها اذ تجددت الاضطرابات التى حدثت فى سنة ١٩٢١ . وبجرت الاعتراف بهذا كان معناه أن تتولى الحكومة شراء هذه الاسلحة وتجهيز اليهود بها على حساب الممول العربى ! !